أحد أعمال سلسلة الحقبة الفاسدة

فساد

الطاقة هي الكابوس 2



كتابة:
جاك فيرسون

VOID STAR

فساد

نمسك أيدي بعضنا
بينما نهرب بعيداً عن المنزل

كتابة وتنسيق وتدقيق

جاك فيرسون

فهرس المحتويات

ملاحظة هامة

هذا هو القسم الثاني من **"الطاقة هي الكابوس: فساد"** وليس رواية منفصلة بحد ذاتها، يستكمل القسم الأول المسمى بـ "فساد: ثلج المذنبين" وكلاهما نشر إلكترونياً فقط بهذا الشكل، ولكن ورقياً يأتيان في عمل واحد بالاسم الكامل والذي يتوفر إلكترونياً أيضاً بنفس أبعاد وشاكلة النسخة الورقية.

وعلى الرغم مما كتب سابقاً، يمكنك قراءة هذا القسم من العمل دون سابقه، هو فقط يحكي المزيد من القصص القصيرة غير المرتبطة ببعضها البعض، ولكنها مهمة أيضاً لسلسلة الحقبة الفاسدة.

يبدأ هذا القسم بالفصل السابع "أضواء الرصيف" وهو الفصل التالي لـ "مجهول غير متوقع" الذي يعد الفصل السادس في العمل الأصلي.

جاك فيرسون

الفصل السابع: أضواء الرصيف

(1) قيامة روز

رضوخ بعد الدموع يتبعه ابتسامة، أو إطلاق نار ورفض يتبعه انتفاضة، وحرب في أحد الشوارع هناك، تحذيرات وصفارات إنذار، الشرطة تحارب طوال الليل فقط لتجد طرف خيط يقودهم إلى ذئاب الليل، ولا أخبار قد تهمك على التلفاز غير أنه لا يوجد مدرسة اليوم، أو وجود حظر تجول حتى النهار، تسمع أصوات المدرعات تدمر أرصفة الشارع كل فجر، ولا تسمع تبادل النار قبل ذلك إلا مع بعض أفراد الشرطة الذين لا يملكون رابطة تكفي لتحمل الخوف وربما على أفراد، والكثير من القصص الساذجة التي تقودك في النهاية إلى استنتاج واحد مهما كان سنك: المافيا هي من تقود الشارع الياباني الآن.

وهل وجود المافيا شيء سيء؟ باعتقادي لا، لقد كانوا في نظري أبطال الأزقة التي تحارب قيد الحكومة وشجعها، محملين بأفكار العدالة والتوحد، فهم في النهاية عائلة مكونة من عدة أسر، لم يجمعهم الذهب أو السلطة، بل هدف واحد، ألا وهو مستقبل أفضل لنا نحن الأطفال. كثير من الفتيات خلال الليل كانوا يتشبثون بأطراف الأسرّة، ينتظرون من والدتهم المرتعبة قصة عن أميرة ووحش عاشا في قصر معاً، وفي بعض الأحيان كانت مع الأقزام، بينما أنا، كنت أنتظر والدي ليعود في منتصف المساء، لقد كان يوماً ممطراً كالعادة، فأمسك يده المبتلة بندى السماء، وذلك قبل أن يخلع سترته التي ما زالت تنزف بالدموع، لقد كان مرهقاً بشدة، وعندما تسأله أمي عن السبب، يجيب بعبارته الشهيرة: فاتني القطار، فأشد ذراعه دون اهتمام، تسقط السيجارة التي في فمه، وتبتسم أمي رغم حزنها الدفين لطفلة متحمسة، كل ما ترغب به في تلك الليلة الموحشة هي قصة عن أحد أولئك الأبطال الذين يقاتلون في الخارج الآن، ولحسن حظها، كان يعود حاملاً معه لكل ليلة قصة جديدة ليسردها، فتستيقظ مفعمة بالنشاط ليوم جديد.

لا يختلف هذا الوضع كثيراً في المدرسة، نبدأ بنقاشات ما قبل بداية الحصة الأولى لطلاب لا يفقهون شيئاً في السياسة، كل ما يعرفونه عن الشارع هو من حكايات نقلت عبر قنوات الإعلام الحكومية، أو بالصدفة عن آباءهم الذين من القسم الأول من الناس، تنتهي تلك النقاشات في العادة مع حضور الفتاة المشتعلة بالأفكار اليسارية، وتستكمل في استراحة الغذاء رغم وجودها، فتترك في زاوية الصف وكأنها لم توجد، منزعجة ولكن عليها الصبر على صوت الخراف التي ترعى. لقد كنت أعود مباشرة بعد انتهاء الدوام، رغم وجود حصة إضافية يتكلمون فيها عن تعليمات وحشو لاتباع النظام، أحمل حقيبتي على ظهري وأغادر وكأنني لم أوجد، فأمشي في الممرات أنا المتمردة الوحيدة، أغير حذائي وأخرج من بوابة المدرسة، ولكن ولأول مرة توقفني صرخات من بعيد، من هذا الذي يرغب بتعكير مزاجي المعكر مسبقاً؟

- (؟) روز! إنها أنا. أرجوكِ توقفي قليلاً!

توقفتُ دون أن أدير ظهري، فقد كان صوتها مميز، إنها مسؤولة الفصل، وعندما وصلتْ بعد مدة من الجري ركعتْ تلتقط بضعة أنفاس، ومن ثم نظرتْ حولها لاحقاً لكي تتأكد من عدم وجود أحد قبل أن تكمل حديثها، وتقول:

- شكراً على وقوفك هذه المرة. لقد كنت أريد تحذيرك فحسب، حديثك واهتماماتك تجذب الكثير من الأنظار، ليس حولك فحسب بل وعائلتك أيضاً، الدولة تبحث عن أي أثر، ولن يكون لديها مشكلة باعتقالكم إن اشتبهت بكم بسبب حديث طفلة. أؤمن أنك تحاولين فحسب نشر ثقافتنا الحق، ولكن في بعض الأحيان يكون التستر هو الخيار الأفضل. عودي إلى الصف واعتذري، ربما كل ما يتحدثون عنه عبارة عن غسيل للعقول، ولكن من أجلي هذه المرة، لأجلنا ولأجلكم، عودي.

نحن نصمت، ولكن لا نعود، لقد أكملت المشي للخارج دون اهتمام، ولكنها تأبى تركي، تتمسك بحقيبتي وتشدها بقوة، أنزلها للأسفل فتسقط، ولكنها تتشبث بقدمي لاحقاً، ركلتها، فسحبتها، أسقط أيضاً على الأرض، تصعد علي وتبدأ بضربي، وأنا أفعل المثل، لقد انتهى الأمر بشجار طويل يختم بتعب كلا الفتاتين، فتناما على الأرض بجانب بعضهما البعض، والدماء يسيل منهما على الأرض.

- لماذا تصرين على إيقافي لهذا الحد؟! ماذا فعلت لكِ؟
- بل لمَ أنت عنيدة لهذه الدرجة؟! يا إلهي. لا أريد إخافتك ولكنني رأيت مجموعة من الرجال توقفوا بالقرب من البوابة مع انتهاء الحصة، موعد خروج روز وحيدة من المدرسة، أظن أنهم شرطة بزي مدني يحاولون اعتقالك لسبب ما.
- اعتقال طفلة؟ ما الذي قد يجنوه من ذلك؟ لا بأس، سأغادر بالقفز عن الحائط هذه المرة. هل يمكنك مساعدتي؟

نقف وننفض غبار الأرض عن ملابسنا، وتبتسم أخيراً وكأنها حلت المشكلة. لقد كان أمراً جاداً حقاً في النهاية، بل كان عليها قول ذلك منذ البداية، ورغم ذلك ما زال الأمر غريباً بالنسبة لي، هل أنا مطاردة الآن كأحد أولئك الأبطال؟ هل سيكون من الأمان العودة للمنزل؟ وماذا عن الخروج لاحقاً؟ مصير غير معلوم، ملفوف بملايين الأسئلة التي وجدت إجابات لها من القصص التي كنت أسمعها، فأكتب سيناريو غريب في عقلي لمستقبل غير موضوع أيضاً.

- وها هي الحقيبة! لا أرجح الذهاب إلى منزلك وحيدة، استعملي أي هاتف عمومي للاتصال على أحد أفراد عائلتك، فيأخذك من مكان تواجدك.
- شكراً لك أيتها المسؤولة. ألن تسبب مغادرتك من الفصل بهذا الشكل المفاجئ أي مشاكل لك؟ لا تهتمِ! توخي الحذر فحسب.

لم تكن العودة سهلة كما توقعت، المشي في الشوارع وحيدة بين نظرات المارين مزعجة حقاً، وخصوصاً عندما تظن أن كل فرد منهم في لحظة ما قد يشد جسدك إلى شاحنة أو سيارة مدنية عسكرية، أصوات مركبات الشرطة لا تغيب، وشمس النهار انخفضت أكثر من أي حين، حمراء كانت سوداء عينيها، ونجوم، وهاتف عمومي في نهاية الشارع، أدخل بضعة قروش كانت في جيبي، وأرفع السماعة، الرقم الذي تحاول الوصول إليه غير متوفر حالياً، مغلق لسبب ما، وهذا ليس أكثر من نذير سيء، ما الذي حدث؟

بهذا ليس لدي خيار غير الذهاب إلى المنزل، ليس أكثر الخيارات أماناً ولكنه قد يكون الأشد رغبة من نفسي، خوف قد يكون، وقلق من ناحية أخرى، ربما الالتفاف قد يجدي نفعاً كما فعلتُ عند خروجي من المدرسة، وربما يكون كل هذا وهم من فتاة هربت من المدرسة تعيش الآن قصة بطولية سترويها هي هذه الليلة، يا ترى ماذا تكون.

غربت الشمس وغام الظلام، وانتشر الهدوء للحظة في شوارع المدينة، هدوء يرعبك لأنه دوماً يكون بداية عاصفة، أصوات صرخات انطلقت من الشارع المجاور بعد دقائق، رافقها صوت تحرك لمركبات مصفحة عبرت من أمامي نحوهم، تغلق الطريق، فيكون المهرب الوحيد لي من أحد الأزقة، وعند خروجي لا أرى غير حرب تحدث هناك، قوات مضادِ الشغب مصفوفة بأعداد كبيرة، وخلفهم قوات خاصة بأسلحة ثقيلة جاهزة لتنفيذ حكم إعدام بحق المتظاهرين، والناس من النوع الثاني هناك بالصخور تقاتل وأحياناً بالعبوات المتفجرة، بينهم أولئك الأبطال الذين يقومون بقنص أفراد الشرطة من الخلف قبل هروبهم من جديد في الأزقة، مصيبتي صنعت لي فرصة ذهبية قد تكون الوحيدة لرؤية اشتباكات الليل الشهيرة، وربما شهدت أعظم حرب شارع، مجموعة مسلحة تعبر بعبوة ناسفة تفجر صفوف أفراد الشرطة، فيعبر المتظاهرين بكامل قوتهم إلى مصير غير معلوم، ولماذا تقدموا؟ لم يكن هناك وقت للحصول على إجابة، فالقوات الخاصة عبرت

مباشرة بناقلة جند محصنة بعدة ألواح من الفولاذ، مطلقة النار بدون تهاون على أي شخص يظهر ظله في الدخان، فتكتب مجزرة هناك، لم يكن صوت إطلاق النار ممتعاً كالأفلام، بل كان مؤلماً ومرعباً، كالصرخات التي تدمر النفس، وتحديداً مع سقوط بقايا الأشلاء وانتشار الدماء على كل جوانب الشارع، حتى أظلمت أضواء الرصيف، ومع إخلاء سريع، وهروب يتبعه حملة اعتقالات من قوات الشرطة، أسقط بين أقدامهم، أزحف بصعوبة بين الهاربين حتى أجد مخرجاً في زقاق آخر، فأعبر بسرعة هاربة من ظل تحرك خلفي، بسرعة، لا أعرف إلى أين كنت أتجه، ولم أعرف كيف أمسك دموعي بينما كنت أجري، فقط أجري إلى مكان ما في اللامكان، وقبل أن يتوقف قلبي عن النبض اصطدمت بحائط، أو ربما هذا ما شعرت به قبل أن أرى شعرها البنفسجي ومعطف المختبر، ورغم أن مظهرها كان يطمئن القلب إلا أن قدماي فضلتا إكمال الجري، ولكنها أمسكت ذراعي بقوة وأوقفتني، باردة جداً، فأجلس على الأرض كطفلة باكية هزم الرعب قلبها بالفعل.

- لا يجب على الأطفال البقاء في الشارع حتى هذه الساعة، وبحالتك تلك! هل حصل شيء ما لك؟

لم استطع نطق كلمة واحدة بسبب الدموع، تعدل جلستها لتصبح بالقرب مني، ومن ثم تسقط جسدي نحو صدرها، وتحتضنني بكل دفء وكأنها أمي، تمسح على شعري أثناء ذلك، وأنا ما زلت أبكي، فقد شعرت أن الموت كان على بعد خطوة مني فقط.

- أعلم أنكِ مررت بالكثير، فالوضع الآن متفجر أكثر من أي وقت مضى، ولا يعلم أحد ماذا سيتغير في العمق بعد اليوم، مصاعب ومشاكل تواجه جميع الأطراف، وأنتم، أيها الأطفال، هم من سيبتلعون نتائجهم، هكذا دوماً كانوا

البشر. إذن، هل تفضلين التحرك الآن برفقتي لمنزلكم، أم قضاء هذه الليلة المشتعلة معي على أن نخرج في الصباح إلى هناك؟

لم تنتظر مني أن أجيب على سؤالها، عبست وكانت على وشك البكاء، حتى وقفت ممسكة بيد طفلة وكأنها دمية اعتنت بها منذ طفولتها، وابتسمت. أكملنا طريقنا بين الأزقة حتى وصلنا إلى ذلك المنزل الصغير، لقد كان صغيراً بسبب حديقة تشغل نصف مساحته، تصلي قبل أن تفتح قفل الباب، ومن ثم ندخل إلى تلك الجنة التي كانت مليئة بالأوراق المبعثرة والأجهزة المركونة والخشب المحطم، الأرض مبللة ببرك من الماء سببها فتحات في سقف الحديقة، لقد كانت تطالع ذلك المشهد معي قبل أن تنظر إلي وتتكلم:

- أعتذر على حالة المكان السيئة، لقد كنت في الخارج لوقت طويل ونسيت أن أقفل السقف، يا لغبائي. على أية حال، هناك حمام على اليمين، استحمي، سأحاول أن أجد أي ملابس صغيرة تناسبك حتى تجف ملابسك.
- هل يمكنني ... استعمال الهاتف؟
- لا أعتقد ذلك، هناك مشاكل في معظم شبكات الهاتف منذ الصباح بسبب هجوم الشرطة الهمجي الذي بدأ عند اكتشاف معقل المافيا.
- لقد تم اكتشاف معقل المافيا؟ ظننت أنه أكثر الأماكن سرية، مكان يشبه معبد اللصوص التسعة والتسعون.
- لا يجدر على طفل بعمرك الحديث عن هذه المواضيع، ولكن يبدو أن لديك ارتباط غريب بهم، ارتباط قوي جداً لسبب ما. في تمام السادسة صباحاً اليوم، أحد جواسيس الشرطة استطاع الوصول إلى أحد أفراد القيادة في لواء الأرض السفلية وإبلاغ مكتب المدينة بمحصلة ستون اسماً، وثلاثة عشر قتيلاً من ضمنهم قائد القوات العسكرية خلال اشتباك حدث بين المافيا والقوات الخاصة.

في تمام التاسعة صباحاً، قادت قوات العمليات الخاصة حملة اعتقالات واسعة جارت الأسماء المبلغ عنها وأكثر من مئتين آخرين مشتبه بهم. في تمام العاشرة صباحاً وحتى الرابعة مساء، حالة غضب واشتباكات واسعة في الشارع الياباني، محصلة عملية التطهير ثلاثة آلاف قتيل. في تمام الرابعة مساء، تم القبض على قائد المافيا وتنفيذ حكم الإعدام بحقه خلال اشتباك واسع في القنوات الأرضية مع القوات الخاصة. في تمام السادسة مساء وحتى الآن، عملية تطهير أخرى للمتظاهرين، محصلة العملية خمسة آلاف قتيل منذ الصباح. انتهى التقرير.
باختصار لم يعد للمافيا أي وجود.

لقد انتهت القصة، ولم يعد بإمكان أحد تغيير الواقع، لقد انتصر الشر، وشد القيد الغليل، انتشر الظلام، والمجزرة ستستمر دون توقف، مصير غير معلوم، من سيغني الآن تلك العبارات الشهيرة، اضغط زناد الحق لا ترحم عداة الشر وقاتل حزب الشيطان، لن نسقط؟ ومن سيقف في وجه قوانين الحكومة الظالمة؟ ومن سيصنع لنا المستقبل؟

أغلقت صنبور المياه، خرجت من هناك وخلايا عقلي قد ارتاحت نوعاً ما، وعضلات جسدي المرهقة من الجري، المكان أصبح نظيفاً فجأة، لقد قامت بترتيبه أثناء استحمامي، ومع خروجي رأيتها جالسة على الأريكة وحيدة تنتظر، وبيدها كأس قهوة كبير، يمكنني الآن رؤية عيونها الفضية بشكل أفضل بعد ما غيرت ملابسها وخلعت زي المختبر، وقلادة الساعة الرملية التي على صدرها، تبتسم لي مع خروجي بابتسامة صغيرة حنونة، وكأنها تذكرت شيئاً عند خروجي من هناك.

- لا أعتقد أنك تشربين القهوة، لذا أعددت لك كوباً من الكاكاو الساخن، إنه هناك على الطاولة، ما رأيك بحديث قصير قبل الذهاب إلى النوم؟

أمسكته بين يديّ الباردتين، بمذاقه المميز المر، بعد رشفة حملته معي لأجلس بجانبها.

- سامحيني على الأحداث المتسارعة اليوم، نسيت أنني لم أعرّف عن نفسي بعد، أنا جراي شيزومي، أعرف باسم أثينا، باحثة ومحققة خاصة، وأنتِ؟
- روز ناكامورا.

ابتسمت بشكل مريب، وضعت كأس القهوة من يدها، واقتربت مني أكثر، حدقت في وجهي بشكل غريب، حتى في النهاية ربتت على رأسي، هل اسمي فريد لهذه الدرجة؟

- لقد كان هذا كل ما أحتاجه لتحديد موقفك، جميع الأمور بدأت تبين بالنسبة لي. إذن، متى كانت أخر مرة رأيت فيها منزلك؟
- قبل خروجي إلى المدرسة في السادسة صباحاً.
- هل حدث لك أي شيء خلال وجودك هناك؟ ما هو سبب هروبك؟
- عند نهاية اليوم، كان هناك مجموعة من الرجال تنتظر خروجي من المدرسة، ولكنني قفزت عن الحائط، لم أرغب بالعودة إلى المنزل وحيدة خوفاً منهم.
- حسناً، شكراً لك على تلك المعلومات. دعيني أوضح لكِ بضعة أمور بشكل مبدأي، ستبقين هنا لبعض الوقت، لست مضطرة للخروج إلى أي مكان بعد الآن، وإن سأل أي أحد عن اسمك فسيكون روز شيزومي حتى يهدأ الشارع.

وفي مشهد الختام، تنام الطفلة المتعبة على قدميها بعد ما أنهت كأسها، وبعد وضعها في السرير تجلس في الحديقة لتفكر في مستقبل هذه الطفلة الضائعة، تشعل سيجارة رغم أنها لم تكن تدخن، إن كانت تلك الطفلة تشبه شيئاً فسيكون جراي، الطفلة المطاردة من الدولة، وماذا الآن؟ يمكنها احتواء الفتاة لعدة أيام، ولكن في لحظة ما ستتمكن استخبارات الدولة من معرفة موقعها كما حدث مع أثينا، وبالرغم من ذلك أمنت أنها كما هربت في الماضي فبإمكانها تأمين طريقة لهروبها هي أيضاً، وكما لم تستطع صنع مستقبل جيد لها، على الأقل يمكنها الآن صنع مستقبل أفضل لتلك الطفلة.

(2) محققة المساء

الجانب المظلم من العالم وجوده لا يدل فقط على فساد تشجر في عمق الأرض، بل ويدل على وجود جانب آخر مضيء ولو بشكل خافت، ربما يحسب ذلك الضوء بالنسبة للكثيرين هو الظلام، ولكن الظلام دوماً يكشف في النهاية فساده، والمصباح حينها تزداد إضاءته، فيكشف للجميع أن الحق ما زال موجوداً، هذا لا ينفي أن المصباح قد يفسد في مرحلة ما، فقد يشع ظلاماً فقط ليواجه ظلام الفساد، والفساد أحياناً قد يشع نوراً ليغوي قلوب بعض المؤمنين، وبهذا يصبح الحكم على الأفراد والأحزاب أمراً مستحيلاً.

لسوء الحظ، أعمل تحت مظلة تعرف بفسادها وشرها، وعلى الرغم من ذلك ما زلت أشعر أنني قد أكون النور الخافت الذي يشع وسط الليل، كنجم وحيد بارز، ربما ليس الآن، ولكن في لحظة ما سأشع، هذا ما قد آمنت به، ولكن، وللأسف، الكثير من الناس يفكر بمنحناً آخر، بشكل سطحي أكثر، ولا يمكنني حقاً الحكم بخطئهم، فحججهم التي توضع جميعها تدور في دائرة المنطق، "أنتم من دمر بلادنا" نعم! دولتنا قامت بذلك، ولكن ليس نحن، "لقد قتلتم الكثيرين، وما زلتم تواجهون نهضتنا" نعم! دولتنا قامت بذلك أيضاً، ولا يمكنني الإنكار بأي وسيلة، ولكنني سأرددها لكم مراراً وتكراراً، ليس نحن من قام بذلك، فلماذا علينا نحن دفع ثمن أخطاء أشخاص قامت بأشياء في الماضي، أشياء ربما قد بدت لهم الصواب في تلك الأثناء؟ ولماذا يطلق علينا الليل الأسود في هذه الفترة؟ ألا يمكنكم حقاً الإيمان بأننا قد نكون نوراً خافتاً سيجلي ليلهم في لحظة ما، ويصلح أخطاء الماضي؟ ليس فقط لجعل دولتنا في حال أفضل، وليس أيضاً لكم ولدولتكم، بل لجعل كامل هذا العالم يعيش في سلام من جديد، لا على شفا حفرة، كل من فيها يركز على أخطاء الآخر، فيبدأ حرباً قد تكون السبب في خسارة ملايين الأبرياء لحياتهم، كل من فيها يسعى فقط لنيل المزيد من السلطة أو أرض صغيرة أو القليل من الذهب.

لقد تأخر الوقت كثيراً في ذلك اليوم المتعب، فبات علي البحث عن فندق للنوم فيه، وبسبب الحالة التي أنا فيها، يجب علي الاختيار جيداً، أدخل بحقيبتي المصفحة الثقيلة التي صنعت خطاً بوزنها على الأرض وهمسات لبعض الأشخاص الجالسين، يركز بعض الحراس أسلحتهم نحوي، ولكنني، وبكل سلام، تركت حقيبتي على الأرض ورفعت شارتي، عميل خاص في الشرطة الفيدرالية الأمريكية، وبهذا تنتهي كل تلك المشاكل، وربما صنعت عدة مشاكل أخرى بعضها اعتيادي والآخر جديد من نوعه، تُؤخذ الحقيبة إلى الخلف ويُبْدأ بتفتيشها، أسلحة من العيار الثقيل وذخائر، وملابس عسكرية وأخرى مدنية، وبعد مناقشة مطولة وصلنا إلى المحصلة التالية: سيتم احتجاز جميع الأسلحة، ولا يسمح لي باستخدام أي من صلاحياتي على المواطنين، هذا حتى موعد المغادرة في الحجز، طلبات تجردني من ظلامي وهذا فعلاً ما أريده. وبعد انتهاء تلك الجلبة، أتوجه لمكتب الاستقبال لحجز غرفة أخيراً، وحينها شخص ما في الخلف يصرخ مستهزئاً:

- من سوف تقتل اليوم من بيننا؟ ألم ينتهي تدخلكم بنا، أيها القتلة المتعفنين؟!

تجاهلت كلامه بشكل كامل وسط اعتذارات من موظفة الاستقبال، وما أن حملت المفتاح منها ودفعت المبلغ المطلوب، يكمل استهزاءه:

- لربما علي المغادرة مبكراً اليوم، لابد أن لعنة ما ستصيب هذا المكان الليلة!

أرفع سلاحاً كان مخبأ في جيبي، فيصمت ذلك الفم العنيد، ولكنني أضعه على مكتب الاستقبال بهدوء خلال اعتذارات بأنني قد نسيته، فلا ألقى غير ابتسامات ورضى بما أفعله، وأغادر من هناك بنظرة حادة لذلك الشخص. بدأت أشعر بالقلق في تلك الأثناء، فإصراره الغريب يجعلني حقاً أظن أن هناك شيئاً سيئاً سيحصل الليلة.

كعك محلى وكأس من القهوة كانت هي هدية الفندق، كلاهما في الغرفة المجهزة بشكل متقن، ورأسي الذي وجد أخيراً مكانه فوق وسادة الريش، لقد نمت سريعاً على الرغم من عدم اطمئناني وتصميم الغرفة الغريب، وما كنت لأتذكر خلال تلك القيلولة غير يداي الملطختين بالدماء، والمجرمين الذين سقطوا خلال مطاردات باسم العدالة يشدون ذراعي نحو الجحيم، لربما شرطة فاسدة قد كنا حينها، أو محاربين لنظام العصابات المتفردة في السلطة، كلاهما يؤدي إلى نتيجة واحدة، لقد دفع العالم الكثير لينال السلام، فما هي المشكلة عندما نكون نحن من نقتل لأجل أهدافنا؟ ما المشكلة عندما نكون نحن من يضغط الزناد؟ تنتهي تلك الأحلام على صوت إطلاق نار مفاجئ في المكان، سلاحي ليس معي ولكن ما زال بإمكاني إمساك ذلك المهاجم، أخرج مسرعاً من الغرفة نحو الممرات، ومن ثم نحو الطوابق الأعلى متتبعاً صوت الركض، الغرفة رقم ثلاثمئة واثنين كانت موقع الحدث، جثة ساقطة عند مقدمة الباب ودماء متناثرة في المكان، وقبل أن يفسد أحد الدلائل استطعت باستخدام صلاحياتي الاستيلاء على الموقع بكل سلاسة، فقط بإخراج الشارة، وفرت بذلك جميع السبل للشرطة لإيجاد المجرم، نعم! إنها عملية قتل واضحة، والمستهدف: أحد أشهر تجار السوق الياباني في المدينة.

لم تتأخر الشرطة في الحضور، جميع الزوار الذين كانوا في الفندق وقت الحادث تم الإغلاق عليهم بداخله للتحقيق معهم، لربما لم يكن علي التدخل لهذا الحد، ولكنني أردت أن يكون وجودي كما هو لعنة تسبب الموت، أن أكون القيد الذي يظهر الهدف، أحاطت العناصر بالمكان، أُخْرجت الدلائل وكُتب التقرير النهائي الذي سيتم تسليمه للمحقق. طلب استدعاء محقق خاص للتحقيق في هذه القضية، لأنها كما يقولون كانت تتعلق بجرائم أخرى، سلسلة من الجرائم المتشابهة إن صح القول، وذلك المحقق العبقري هو الوحيد الذي يمكنه حلها، والوحيد الذي لا يخشى أن يضع يده في فوهة الخطر تلك،

فالمافيا اليابانية كانت المشتبه الرئيسي كالعادة، واللعب معهم تكلفته دوماً الموت حسب الحكايات اليابانية الشهيرة.

وبعد ذلك الحديث الغريب من عناصر الشرطة، أغلب ظني توجه إلى أن ذلك المحقق العبقري سيكون شخصاً ضخماً، كبير السن، محنكاً في القضايا الجنائية، لربما قضى سنوات عمره يبحث عن خيوط شبكة المافيا العميقة، بنظرة حادة وقاسية، مليء بالجروح وغاضب على الدوام، ولكن ما ظهر أمامنا في تلك اللحظة كان العكس تماماً، لقد كانت فتاة صغيرة لم تنهي الثانوية بعد، ترتدي زي مدرستها المبلل، وشعرها القصير الأسود كان يقطر باستمرار مع اعتذاراتها، لقد كانت تلهث بسبب قدومها جرياً تحت المطر، ولم يبدو عليها الجدية أبداً، فلا يبدو أن أحداً سيأخذها على محمل الجد أيضاً، كانت بالنسبة لي كدعابة، هل هذه الفتاة هي حقاً ذلك المحقق العبقري الذي سيحل القضية؟ ولكن تختلف وجهة نظرك عنها عندما تتحدث مع الشرطة، وتحديداً عندما تبدأ بتحليل التقرير وكلام الشهود، إنها تعرف نسج الكلمات بشكل فظيع، وكأنها حقاً محققة محنكة تعاملت مع هذا النوع من القضايا لمئات المرات، إنها تعرف سلاح القتل، إنها تعرف طريقة الدخول والخروج، إنها تعرف المجرم، كل ذلك دون الاطلاع على موقع الجريمة، وكأنها عاشت هذه اللحظة في السابق، في الحقيقة هي فقط تعرف مع من تلعب، وهي مستعدة لدفع تكلفة اللعبة إن كان حقاً سيقودها إلى هدفها، إسقاط المافيا اليابانية.

- أعتذر على مضايقتك، أعرف أن لا دخل لك في هذه القضية ولكن يجب علي أن أكتب شهادة الحاضرين المريبين، لذا اعطِنِ دقيقة من وقتك أيها العميل. أنت الوحيد الذي يحمل أسلحة في هذا المكان، أليس كذلك؟ أين هي؟
- لقد كنت أحمل أسلحة ثقيلة عند الدخول في حقيبة، ولكن تم احتجازهم جميعاً عند إدارة الفندق. لا أحمل أي أسلحة منذ ذلك الوقت.

- سيكون من السخيف أن أسأل لماذا أنت هنا، ولكن سأقوم بسؤالك شيئاً مختلفاً، هل هناك سبب ما يجعلك تحوم في هذه المنطقة؟ إنه سؤال شخصي.
- صلاحياتي تسمح لي بعدم الإجابة على هذا السؤال، إنها مهمة سرية.
- كنت أول من وصل إلى موقع المقتول، هل تعرف أي شيء حول القاتل؟ هل صادفك شيء غريب أثناء تواجدك هنا؟ سيتم تسجيل الإجابة.
- بعض المضايقات عند قسم الاستقبال ليس إلا، حديث يتعلق بحدوث شيء سيء بسبب وجودي، ملابسهم كانت غريبة، ولم يكن معهم أسلحة، وعلى الرغم من ذلك لن يكون صعباً تهريب واحد، وبدون كاميرات في الممرات، من السهل جداً ارتكاب جريمة والهرب. ولكن في النهاية وجودي صنع فعلاً شيئاً سيئاً لهم، يجب أن يكون القاتل أحد الحاضرين، وسلاح الجريمة ما زال معه، لذا سيكون من السهل حل قضية بهذا الشكل، من يحمل السلاح فهو القاتل.

لقد كانت محادثة سخيفة، فحتى هي تعرف من القاتل بالفعل، وكل ما علينا فعله هو اصطياده، ولكن دون دليل مسبق، سيكون من الصعب توفير مذكرة اعتقال.

- اسمحِ لي بسؤال شخصي من طرفي، روز شيزومي، لماذا هي هنا الآن؟
- لأننا نصمت ولكننا لا نعود، إن كانت الشمس في الأعلى تواري ظلهم الفاسد، فالمجد الذي تلوث بسببهم سيقودني إليهم، والقضاء عليهم ختاماً سيكون النهاية. هناك عبارة أحبها تقول: اضغط زناد الحق لا ترحم عداة الشر، فماذا عن هؤلاء الذين يتبنون مجداً قديماً لتسويق أعمال فاسدة في المدينة، ألن يكون ثمن جريمتهم أعظم من ضغط الزناد؟

إنها تتبنى نفس الفلسفة، لا مشكلة لإطلاق النار إن كان في وجه الشر، فالقتل لهدف نبيل هو قتل حميد لا نحاسب عليه، والدماء التي ستتناثر هي فقط تكلفة أخرى يدفعها

من ظن أن بإمكانه الهرب من قبضة الحق، لربما القاتل هو فرد آخر يعيش حياته الخاصة، ولكن خطيئته التي لا تغتفر، القتل، جردته من حقه في المطالبة بحياة، والقصاص في المعادلة سيكون له الأولوية، اضغط زناد الحق لا ترحم. أكملت:

- يقول الكثيرون أني أجازف بهذه التحقيقات، لقد طلبوا مني التوقف عدة مرات، الكل حذرني من مآسي هذا الطريق، ولكن ماذا سينتظر فتاة وحيدة مثلي؟ لقد فقدت كل شيء، ولم أجد هويتي إلا هنا أتبع خطاهم، لربما هو انتقام، ولكنه شريف نوعاً ما لا أستخدم فيه غير طريقة فضح جرائمهم وفسادهم.

سخيف، ولكن لن أقول إنها مخطئة باتخاذ طريق كهذا، إنها الطريقة الأبسط للتفكير، الخير والشر، سلاح العدالة الذي يهدم أبراج الظلام، فالحكومة بحد ذاتها ظالمة، الشرطة أحياناً ترتكب أخطاء قاتلة، ونحن من ندعي أننا فريق العدالة، ما نحن غير انعكاس لنور الفساد. لقد ألقيت السيجارة من الشرفة، فقد تحول طعمها مراً من تلك الأفكار، وكرهتها نوعاً ما، ليست من النوع المثالي كما ظهرت في البداية، إنها تملك المقومات، ولكنها ما زالت طفلة على أن تفكر بظل الشمس.

عدت إلى غرفتي لأستريح قليلاً، ولكن لا استراحة لمحاربي الظلام، فمنذ اللحظة الأولى التي خطت فيها قدمي باب الغرفة الملعونة حتى ظهر صوت إطلاق النار، رشاشات ثقيلة هذه المرة، إنه اشتباك في الداخل والخارج، الشرطة تقاتل بعض وحدات المافيا التي تحاول كسر الحصار المفروض على الفندق، إنهم يريدون إخراج القاتل، ولكن شتان أن يستطيعوا. خرجت مسرعاً نحو الطابق الأرضي، لأجد حقيبة أسلحتي وأصد العدوان، فوجدت تلك المحققة على الأرض منخفضة رأسها، محتمية بسور الدرج، وهذا هو فعلها الأفضل، فستكون المستهدف الرئيسي في الغالب، الشعلة التي تحرق خيط الستار.

- هل تحملين أية أسلحة أيتها المحققة؟ وسيكون من الخطر البقاء هنا وحيدة.

- لم استعمل أي منها من قبل!
- هذا ممتع أكثر، حسناً! سوف أجد طريقة لإخراجك من هنا. ابقِ خلفي!

من بين حفلة الرصاص تلك نعبر ونحن نرى قوات الشرطة تتساقط مثل الذباب، إنها معركة خاسرة بالفعل، ولن يغير نتيجتها غير بطل هذه القصة كالعادة، دخلنا الطابق الأرضي دون تخطي غرفة الاستقبال، دفعت يدها لتنام على أرضية المكتب، وأنا رفعت رأسي لأراقب المكان الذي بالفعل تم الاستيلاء عليه، غرفة المحتجزات في نهاية الممر، من المستحيل العبور... إلا إذا! مسدسي ما زال في المكتب! يبدو أن الموظفة كانت أكسل من أن تسلمه للأمن لحسن حظي، حان وقت المتعة الحقيقية إذن!

طلقة يتبعها أخرى، إنها أشبه بالتدريبات التي كنا نقوم بها في الأكاديمية العسكرية، ورقصة على أوتار موسيقى قديمة، وكأنك صعدت على منصة الحفل، يعلو صوت الغناء، ويفتح المطبخ، تناول ما تشتهيه من أجزاء الجسم، وإن كنت تفضل الصمت والاستماع، فهناك كأس مملوء بالدماء يقدم خصيصاً لك، فقط اضغط الزناد واكمل اللحن، الجميع يتساقط، فلم يجبر أحد الغنم للعب مع الذئب، والخوف، إنه النصر، لا! لن أرضى بنصر فحسب، تُفْتح الحقيبة بمدفع كبير، يدمر مدخل المكان ويحترق، إنه الجحيم الذي نصنعه نحن، انظروا إليه، تمعنوه جيداً، قائد الشرطة، من جئت لأجله، قتل بالفعل، ولكن لماذا نوقف هذا الحفل وطعم الدماء الطازج ما زال يشتعل، اضغط زناد الحق لا ترحم، وإن لم ترى الجميع موتاً محترقي الجثث فأعلم أن الموت سيبقى ينهش قلبك، واكمل اللحن لا تتوقف، طلقة وأخرى، يتبعها المزيد، لينام الجميع جيداً، فالمحطة القادمة: نيويورك.

وعند المطر تطفأ النيران ويتصاعد الدخان، يرمي المسدس على الأرض بجانب شخص من الزوار، ويخرج من فوره رشاشاً موجهاً إياه نحوه، وبحركة من رأسه وكأنه يطلب منه حمله عن الأرض، ويتمنى أن يفعل ذلك، إلا أنه يدفعه بقدمه مستسلماً رافعاً يديه مسلماً نفسه

للعدالة، فتخرج المحققة أخيراً من بين الركام لتستنشق هواء نقياً بعيداً عن دخان البارود، وبقايا المكان تعلن رسمياً أنها خرجت من حرب حقيقية، تكبل يديه وتسلمه لعناصر الشرطة المتبقية، فتحظى هي بكل الشكر أثناء مغادرتي. إنها السيجارة التي رميتها قبل قليل ما زالت مشتعلة على الأرض، وحقيبتي قد تركتها في الداخل، لا يهم، لقد انتهت المهمة، حان الوقت للبحث عن الهدف التالي.

- (؟) لقد كان قتالاً صعباً، ولكنك حقاً بارعاً في استخدام هذا النوع من الأسلحة (حينها ضحكت لسبب ما وكأنها نكتة) ... هل أنت بخير؟
- لتنسِ كل ما حصل هنا! أنت من حل القضية، وأنت من أمسك المجرم في النهاية، هذا ما يجب أن يذكر، لم تقابليني، ولم نرى بعضنا البعض من قبل، إن كنت لا تريدين الدخول إلى عالم أكثر سوداوية من الذي تعيشين فيه، وتريدين البقاء حية، فالأفضل من الآن وصاعداً الابتعاد عن شبكة المافيا والوحدات الأمريكية، سيكون هذا الحل الأفضل لكلينا، يا محققة هذا المساء. الليلة باردة، ومن المتوقع حلول أمطار غزيرة، لو كنت مكانك لعدت مع الشرطة.
- شكراً لاهتمامك أيها العميل، ولكن هناك موعد هام علي الذهاب إليه الآن، بل في الحقيقة أنا متأخرة عنه لسوء الحظ.
- قبل ذهابك، أريد تكرار سؤالي، فإجابتك السابقة كانت سخيفة. لماذا روز شيزومي هنا أيتها المحققة الصغيرة؟
- ربما يبدو هذا غريباً، ولكنني كنت أرافق المحققة المسؤولة عن التحقيق في قضايا المافيا، ولقد ورثت ذلك عنها على ما أعتقد. قد أبدو صغيرة، ولكن لدي أنياب تعض بقوة عند الحاجة!
- ما زالت إجابة سخيفة من وريثة العظيم ناكامورا. على أي حال، تينوس، عميل خاص في شبكة أمريكية، وبهذا الرقم ستتمكنين من العثور علي، إن حصل

شيء ما جاد بينك وبين أعضاء العصابة، ولم ترغبِ بتلويث يدك الطاهرة أو استدعاء الشرطة، فسنكون على استعداد لحمل بندقيتك وضغط زناد الحق عنك. فكري في الأمر فحسب، كلانا لديه نفس الهدف، روز ناكامورا.

وفي مشهد الختام، تفترق الطرق، تغادر هي نحو المدينة وحيدة تاركة فرصة ليتبعها الظلال، وأنا أبقى هناك لأراقب ذلك الجحيم الذي قد صنعته، وأصحاب الأضواء الحمراء الزرقاء التي من المستحيل عليها اعتقالي. حقيقة، سيحتاج هذا الفندق إلى الكثير من أعمال الصيانة ليعاد تشغيله، متأكد أنها ستكون يسيرة على المافيا، ملاك الفندق الحقيقيون. نفس عميق وحينها أضع سيجارة أخرى في فمي منتظراً سماع صوت إطلاق النار للمرة الثالثة لهذا اليوم، وبينما قدمي على الأولى، يتبع الهدوء قطرات مطر عديدة، نهايتها أم هل حملت مظلة معها يا ترى هذه المرة؟

(3) نكهة فريدة

ربما حان الوقت للاعتراف، ما من شيء يفيض قلق الإنسان أكثر من دخوله المرحلة الأخيرة في حياته المدرسية، الازدواجية التي يتم تطبيقها عليك هناك بين دراسة للفصل وتحضير للجامعة يرهق الكاهل، ظننت أنها ستكون مرحلة متعبة، ومملة أيضاً، فالكل سيكون مشغولاً في الدراسة، وسأكون في الفصل ذو الحرف "بي" كالمعتاد، لذا سأقضيه كما قضيت جميع سنوات حياتي السابقة، على المكتب وفي المكتبة، بين الكتب المبعثرة والعقل الذي لا ينام، كل هذا الإيمان الذي دخلت به فصل تلك السنة الأخيرة جعلني أتحرك نحوه حاملة الحقيبة المعتادة وكأني أريد الرجوع إلى الوراء من جديد، أفتح الباب موطئة الرأس، مرتفعة الروح، أجلس في أحد المقاعد الخلفية بكل هدوء لكي لا أجذب أي انتباه، وأرتب الكتب في درج الطاولة، أحضّر لأول درس سنأخذه لهذا اليوم، ألا وهو التعريف عن أنفسنا لهؤلاء الطلاب الذين ما زلت أرى وجوههم منذ أحد عشر عاماً، بل من بقي منهم، هذا ما ظننته في ذلك اليوم بالتحديد، حتى قطعت كلام المدرس بدخولها المفاجئ، لقد كانت فتاة قصيرة الشعر، نشيطة الحركة، تدخل في منتصف اليوم بحجة غريبة، قالت إنه تم استدعائها بشكل عاجل من قبل الشرطة الخاصة، ومن لا يعرف واحدة من أعلام المدرسة، إنها روز شيزومي، محققة خاصة كانت محط اهتمام الكثيرين قبل سنتين عندما ظهرت في الصف "آي"، تتحدث أثناء مرورها مع عدة طلاب تنهيها بضحكات وتحيات حتى تجلس على كرسي طاولتها، يبدو أنها حظت بشعبية كبيرة فقط منذ أول دقيقة لها هنا، وبينما أنا، لا يعلم أحد أين مكان ظلي، أين يا ترى سيكون مكاني خلال هذه السنة أيضاً؟

بعد ذلك اليوم الطويل، أخلع الحذاء لأضعه داخل الأرفف المعدنية، وأغادر نحو المكتبة لأكمل دروس المساء، ولكي أصنع تغييراً في ذلك الروتين الممل، أقرر المشي نحوها عبر الطريق الأبعد، إنه أشبه بتهرب مؤقت من ذلك الجهد العقلي صانعة جهداً آخر بدني،

ولكي أبتعد أيضاً عن أعين الناس، فأناظر السحاب وأزهار الطريق اللماعة، حتى رأيتها من جديد، تمشي لوحدها هناك، ببطء هذه المرة، وبداخل فمها سيجارة تبدو غالية الثمن، ليس هذا ما اهتممت به حقاً، أسرعت في مشيي، دون وعي، حتى دفعت يدي لإخراجها قبل أن يراها أحد، إنها حاسة من الرغبة اللاإرادية التي تدفع الإنسان لفعل الصواب حتى إن كنت غير مقتنع به، بحركة دائرية زاويتها تتخطى المئة وخمسون درجة تقريباً تتفادى يدي وترفع يدها نحوي، سريعة للغاية وبيدها علبة سجائر.

- لم أكن أعلم أن هناك فتاة غيري تدخن في المدرسة.
- ولكن.. لمَ.. فعلاً..
- هيا! لا عليك! ليس هناك ما تقلقين بشأنه. يوكينو؟
- ألست صغيرة على فعل ذلك؟ ... أقصد أليس من الممنوع التدخين لمن هم في عمرك؟ ... محققة مثلك تعرف هذا الشيء أليس كذلك؟ ... أعتذر.. لم أكن...

لقد ضحكت باستهزاء ووضعتها من جديد في فمها، تتحرك بضع خطوات للأمام قبل أن تكمل الحديث:

- أحياناً يحذرونني بأنه سيسبب لي الكثير من المشاكل، ولكن فتاة مثلي في مواقع كتلك يجعل عمري شيئاً ثانوياً حقاً، وخصوصاً أن التدخين شائع بين المحققين والشرطة، ربما وجودي بقربهم لوقت طويل قد حرك النفس لوضعها في فمي.
- سيسبب لك المشاكل بالطبع! اخرجِ تلك السيجارة من فمك فوراً!

وضعت يدها على رأسي، ربتت عليه قليلاً وكأنني فتاة صغيرة، لا أدري لماذا أدخلت نفسي في هذا الموضوع الشائك من الأساس، ألهذه الدرجة حس العدالة لدي مرتفع؟ أو لأني كنت أخشى أن تقع في مشكلة كزميلة لي في الفصل، سؤال لا يمكن لأحد إجابته سوى عقلي الباطني، ولكن في جميع الأحوال، لم أرد أن أظهر بهذا الشكل، لقد برزت بشكل غير مسبوق وبكل استهتار، ماذا سيحدث لي لو عرف بوجودي الجميع؟!

- بالمناسبة يوكينو، إلى أين أنت ذاهبة؟ من النادر أن تعبر فتاة هذا الطريق.
- سأذهب إلى المكتبة، أخذ دروساً مسائية هناك مع صديقة قديمة لي من مدرسة أخرى. لقد ظننت أني سأكون وحيدة بسلوك هذا الطريق الطويل، ولكنني صادفتك في النهاية. وأنت؟ هل تحاولين الابتعاد عن أعين الناس؟
- لقد تم استدعائي، لذا أنا متجهة نحو مركز الشرطة في نهاية الطريق، أظن أنه قبيل المكتبة بخطوات. وأعين الناس؟ هذا سخيف، لماذا قد أهتم بشيء كهذا؟
- لا أدري.. فقط.. لا عليك! وأنت بحقك!! إنها السنة الأخيرة، عليك أخذ استراحة من أمور التحقيق، والتركيز على الدراسة، ما زال أمامك شوط طويل في حياتك الدراسية، والجامعة، هل تهملين كل ذلك فقط من أجل الشرطة؟!
- (ضحكت بخفة) ألا ترين أن إنقاذ حياة الناس أهم من الدراسة؟ في الحقيقة، أدرس عندما ينتهي دوامي في المساء عادة، النوم دائماً في نهاية هرم الأولويات.
- أنت تدمرين حياتك بالكامل أيتها المحققة العبقرية، لقد حذرتك!

ترفع يدها وهي تمسك السيجارة وكأنها تقول: ألا ترين أني قد دمرتها بالفعل؟ وتبدأ بالضحك، أنا أيضاً أبدأ بالضحك. حقيقة، كانت هذه بداية مغامرتي، هكذا أصبحت أشهر فتاة في المدرسة أول صديقاتي فيها، بكل استهزاء، وبكل حرص عليها تمر الأيام، وكأنها نكهة فريدة في السنة الأخيرة، نعم هذا هو عنوان قصتي، اعتنائي بالفتاة المهملة لتتجاوز السنة، ولتكون بجانبي في الجامعة كما هي بجانبي عندما أهرب من الشارع المزدحم، تحت أشجار الكرز، وتحت الأمطار دوماً، تطلب النصيحة من معجمي، وتبحث عن مفتاح الأحجية في فهرسي، كنت كدليل يصلح مسارها، وهي أيضاً غيرت طريق قلبي، خرجت من قوقعتي شيئاً فشيئاً، بدأت أتحدث أكثر، وبدأ الظل ينكشف عن الفتاة التي خشيت الشمس. لقد كنا وحيدتين قبل أن ينضم لنا ذلك الفتى، وبدون أن أشعر وجدت نفسي أختلط في المجتمع، فلم أدرك يوماً أن حماسها وتفاؤلها قد يقوم بتحويلي إلى شخص طبيعي، ولو كنت أعلم، لتركتها آنذاك تقتل نفسها وحيدة تمشي ببطء إلى مركز الشرطة، تطالع أزهار الطريق وأضواء الرصيف.

وفي مشهد الختام، تدخل المكتبة لتجد صديقتها تلوح لها من بعيد، إلى جانبها الكثير من الكتب على الطاولة، وأقلام وأوراق ملاحظات، ونافذة ساطعة، تسحب الكرسي ومن ثم تجلس، وتتحدث الأخرى مستاءة:

- (؟) لقد تأخرت، تدركين أنه اليوم الأول، أليس كذلك؟!
- أعتذر، لقد نسيت الساعة بينما كنت أتكلم مع فتاة في الطريق، إنها روز شيزومي، لابد أنك قد سمعت بها.
- ربما، هل ما زالت هناك؟ أريد أن ألقي نظرة خاطفة عليها.
- لقد قالت أنها ستكون في مركز شرطة قريب من هنا.

تخرج رأسها من النافذة لعدة لحظات، فتبتسم، لقد أدركت ذلك الوجه القديم، بل كانت تبتسم سعادة، فقد تأكدت الآن من بقاءها حية، وأنها استطاعت الهرب من ذلك الحادث في الماضي، حتى ولو كانت روز شيزومي، فهي على الأقل خرجت حية، وهذا كل ما يهمها، بل وفي مركز شرطة؟ يا لسخرية القدر!

الفصل الثامن: بوابة الحب والكره

(1) بوابة الحب

مرة أو مرتين، تتسارع فيها الأحداث أحياناً وتتغير لحظتها الاحتمالات، مسارات عديدة تخلق بأحداث غير مفهومة صنعت لتجربة علمية أو ترفيهية، وعند تلك الحادثة تتغير الحياة، بل العوالم بمجملها أيضاً، ورغم أنه كُتْب على جميع المخلوقات أن تتماشى أينما قيدوا، إلا أن البشر كتبوا بعنادهم بنداً إضافياً خائباً يكسر قيد السماء، مما جعل اسمهم واضحاً، غير شائع، في جميع قصص الفساد، سواء كانت مرتبطة بعالم الأصل أو بعوالم المقر، هناك رابط سيجد في النهاية، وهذه القصة ليست استثناء.

- إن كنت لا تحبها، فقط دعها تذهب! للأبد!

السعي نحو العلو هو أحد أسباب الفساد وأشهرهم، جنون يعمي القلوب ويغشي الأبصار، ولكن ربما السبب الأساسي لفساد البشر أنفسهم هو السعي نحو المزيد من الطاقة، المزيد من النوع الذي سيغير البشر، المزيد والمزيد منها، لقد وجدوها في أحد الكهوف فأسروها، بيضة، لتبدأ من تلك اللحظة نقطة تسارع الأحداث الجديدة.

يزداد غضبه، فيضع يده على مقبض السيف، وتتلوى ملامحه، فهو يعلم أنه لا يستطيع إخراجه داخل الحجرة الطاهرة، ذلك ما منعه فحسب، يعيد النظر إليها بعد رعشة وخوف وهي حاملة طفلها الغريب، حتى تردد عبارتها:

- لا ذنب لها فيما حصل، أرجوك! دعها تذهب.
- إنها تدمر مستقبل هذه العائلة، وإن لم تقتل هنا والآن، فلن يكون هناك أي فائدة ترجى من جميع الأعوام السابقة لصبرجاه، ترجى من حياتي، إنهم ينادون للحرب، لذا نحن بحاجة إلى وحش عظيم يقود جيوشنا، وليس إلى فتاة!

تسقط على الأرض بعد ما قدمت ما تملكه من دموع وذكريات، وترفع يديها إلى السماء لتقدم دعواتها التي لم يتبقى لديها إلا هي، فرصتها الأخيرة، يضع الطفلة على المنصة، ويرفع السيف ليقابل تلك الدعوات المشؤومة والمحمودة، حتى توقفه الأجراس من إنزاله، رسول عاجل بأن فرسان سيراط قررت فجأة أن تزور البلدة بعشرة آلاف من الفرسان الأشد بأساً في المملكة، وهنا تصل القصة إلى المحطة الأخيرة، فتاتهم تدخل مبتسمة بدرعها وشعرها الأبيض حتى رأت ذلك الطفل، تندهش بل تغضب، وتأمر بقتل الجميع.

تعود عصيدة من رحلتها الطويلة، بيدها مفتاحاً لبيت لم يعد قائماً على الأرض، وبالأخرى بسمة وبضع قروش، وحلماً لن يتغير مهما تغيرت الظروف، تعبر من البوابة الضخمة لفمرسا وسط الزحام، وتمشي حتى تصل إلى بوابة أخرى كانت لتمييز حارة الفرسان، تتوقف لتفكر، فتحدد وجهتها، بل كانت معدتها من أعطى القرار. تدخل أحد الحانات التي في طريقها، أشهرهن، لينظر الجميع إلى فتاة جميلة مميزة ذات طابع مخيف ونذير شؤم، تجلس على أحد الطاولات وترفع يدها عالياً في السماء، وبعد شجار في الداخل تتقدم أحد الخادمات، الوحيدة التي تمتلك الشجاعة الكافية لمقابلتها، فتنحني نحو أذنها قائلة:

- لن تحرقي المكان هذه المرة، أليس كذلك؟!

فتجيبها دون اهتمام لما رأت:

- أربعة أكواب من فضلك... ووجبة اليوم الخاصة!

تهرب عند حصولها على الطلب، وتلك تمسك السيف لتلمعه، حتى عادت الخادمة بعد دقائق لتوزع الهدايا على الطاولة، ومن ثم تطلب منها أن تغادر فور إنهاء طعامها، وقبل أن تنحني فتعود للداخل، صوت تنفس وشمشمة، أذني قطة تظهران من طرف الطاولة، تتبعهما برفع رأسها قليلاً لتظهر عيناها البريئتين، تسرق انتباهها، ومن ثم ذراعها التي

تسحب كوباً وصحن الطعام، فتختفي، وقبل أن تدرك عصيدة ما حدث، كانت قد خرجت من الحانة، تستفز، ترمي سيفها في الهواء ومن ثم تلتقطه مستدعية رأس التنين، راكضة خلفها بأقصى سرعة، فتبدأ مطاردة سريعة، ولكن الفتاة القطة كانت شديدة السرعة، تمشي على مناكبها الأربع دون إعطاء هماً لما تحمله في فمها، والأخرى بدرعها وسيفها، لم تستطع الحراك إلا بضعة أمتار حتى اختفى اللص.

كان نصراً عظيماً لها، تتسلق سقف أحد المنازل بعد تلك الوجبة الدسمة لتريح معدتها وذيلها الملتهب، ولكن قبل أن تستلقي رأت الدخان المتصاعد من المنطقة، والحرارة وصوت الركض، والفتاة التي على وشك البكاء هاربة، ابتسامة ماكرة تنزلها عن المنزل، وتبدأ بالركض من جديد بجانبها هي الأخرى، وتقول:

- هل أنت من أشعل المدينة؟
- إنها أنتِ! أعيدي لي طعامي، أيتها القطة السارقة!
- رغم كوني السارقة الأعلى مهارة هنا، يمكنني أحياناً أن أصبح حامية للعدالة وأقوم بتسليم الأشرار أمثالكِ. أنا متأكد أنه بإمكاني الحصول على الكثير من الجوائز بتسليم أشهر عدو للممالك حالياً، ألا وهو عصيدة.
- رغم سرقتك لطعامي ما زال لديك فم ليتحدث، كل هذا حصل بسببك! لو لم تسرقِ طعامي، لما حررت طاقتي وأشعلت الحي بالخطأ.
- لنعقد صفقة إذن، فكلانا مطلوب للعدالة على أي حال، سوف تقوديني معك خارج هذه البلدة، وفي المقابل لن أسلمك اليوم... وسوف تسامحيني على سرقة طعامك.
- سأوافق إن خرجت حية من قبضة هؤلاء الفرسان اليوم!

- اسمي فلفلة، ولحسن حظك يمكنني أن أدلكِ على مخرج قريب من هنا، اتبعيني فحسب بسرعة.

حينها تعود للركض على يديها، والأخرى تتبعها في الأزقة وسط الدخان، بين المنازل والحشود، حتى تصلان إلى شق في سور المدينة يطل على حقول زراعية منه تهربان.

- لا أصدق أننا نجونا من ذلك الجمع، شكراً لك يا فلفة على المساعدة.

وبينما تنفض عصيدة الغبار عن ملابسها، تمسك يديها بقوة وتنظر إليها بجدية، وتقول:

- سوف نتجه إلى الشمال!

تنظر مصدومة، وكانت هذه المرة الأولى التي ترى فيها وجهها الغريب عن قرب، وأذنيها اللتان تكشفان مشاعرها المحبوسة المتحمسة، فتبتسم وتقول:

- إلى الشمال إذاً.

كلاهما تجري في خطوط متوازية، هي بسيفها العالق في غمده، والأخرى بمخالبها الحادة، بين سنابل القمح الذهبية، من هناك ظهر غاشياً، وزهور الحقل وسكانه الذين يحترقون بنيرانها كالعادة، تحاول أن تسقط ليكون خيار من هناك بين خسارة حيواتهم بجعلها ترحل، أم خسارة سنين الأرض وقطرات عرق الجبين.

يختم مشهد القتال بسيفها يعود إلى غمده، ومع توقع أن ترى نجوم السماء خلفها منبهرة، إلا أنها وجدت من خسروا بسببها حياتهم وعيالهم وأحلامهم، ومن ظنوا أن حصاد العام سيفتح لهم مستقبل أفضل، ولكن عصيدة ملتهمة الأحلام زارت بابهم، وستغادر والدموع مستقرة على جفنيها تخفيهن بين الخطوات كما جرت العادة منذ زمن، ولكن هذه المرة هي معها، لتمسك يدها من جديد، مندهشة من مهاراتها وسيفها الصلب، وخطواتها

التي كالرقصة بانتظامهن قضن على الوحش، سماء تلألأت في قلبها بالمنظر، فتبتسم اليوم بتعجرف، بينما تميل رأسها وتكمل الطريق.

معاً كالعادة متجهتان إلى الأعالِ، أطالا المشي فاتخذا من حفرة في سهل الزرع أرضاً للراحة، تضع الطعام وتنظمه، ومن ثم تتحرك الافواه للأكل والحديث:

- إذن، كنت أريد سؤالك هذا منذ فترة، من أي عائلة فرسان تنتمين؟
- أنا فارسة حرة، لا أنتمي إلى أي جماعة.
- من المستحيل لفارسة حرة أن تملك مثل هذا الدرع الصلب أو ذلك السيف السحري القاطع! بالإضافة إلى أنك عصيدة التي لا أظن أنها قد تجني المال لشراء مثل هذه الأغراض الثمينة.
- (بتأفف قالتها) حسناً! لقد كنت فارسة عائلة في السابق، ولكنني تخليت عنهم، إنهم...

الهدوء يتلاشى، وخيول فجأة تدك الأرض من فوقهم، عدد كبير منهم، فتضع فلفلة يدها على فم عصيدة لكيلا تجذب انتباههم، بينما تخرج رأسها لاستكشاف الوضع، تعود للداخل بعد لحظة وتهمس في أذنها:

- حصن بيضاء، إنهم من عائلة سيراط، علينا الخروج من هنا سريعاً قبل أ، يقتلوا كلينا. (ولكن...) هل يمكنك ترك أدواتك هنا؟ علينا الهرب بسرعة من هذا المكان. لنفترق ونعود بعد رحيلهم.

تغادر الأولى دون أن تفهم الأخرى ما المغزى من هذا الفعل، ولكنها رغم ذلك أكملت اللعبة وتظاهرت باللعب، تخلع درعها وتضعه بجانب التلة التي كانا تحتها يستظلان كما طلبت، وتتحرك في الاتجاه المعاكس لكي ربما تجد شيئاً مثيراً تركه هؤلاء الفرسان وراءهم.

تبدأ آنذاك رحلة بحثها في سهول الزرع، الأولى تحوي بعض القمح، الثانية بها الأخشاب المنحوتة التي يخلفها الفرسان المالون ورائهم، وبعض أوراق الأشجار الممزقة، وفي الثالثة، وكانت مخبأة، تجد حفرة مجهزة بها بعض الكتب، غرفة لكوكب بعيد عن الشمس مليء بالخيال، تدخل بحماس منخفضة الرأس لتتناول أحد الكتب وتقلب صفحاته، كلماته أو بالأحرى طلاسمه كانت جديدة عليها، وكأنها من لغة قديمة أو عبارات سحرية، يعجبها ما بداخله من صور فتلتقطه، هذا كل ما حدث، وتمضي به إلى التل قبل أن تعود صديقتها الجديدة.

تنتظر هناك، ترتدي درعها، تشحذ سيفها، تسله وتلوح به، تنظر إلى السهل وغروبَ الشمس، لم تعود؟ هي متأكدة إن عادت قبلها وغادرت لكانت على الأقل أخذت الدرع معها، لن تعود؟ أكانت فرصة لها لكي تهرب من هذا الوحش؟ ما كانت غايتها من مرافقته من الأساس؟ إنها تبدو كالجميع، إنها فقط كالجميع. ماذا عليها أن تفعل الآن غير أن تمضي في طريقها المجهول، لعلها تجد ذلك الوحش الذي سيعترف بها أخيراً، هل سينتهي الأمر قريباً؟ بلى سيبدأ قريباً. تعود عصيدة وحيدة إلى رحلتها في سهول القمح، تحمل الكتاب بيديها بينما تحاول أن تفهم الغاية من وجوده، بل أمنت أنه قد يكون غرضاً ملعوناً فيجذب الوحوش والدمار لها، وتتساءل، ماذا سيكون مع الفرسان هذه المرة.

تمشي بهدوء بين الأشجار لكيلا تفيق، وتتبع خطوات جيش قريب كانت قد هربت منه في السابق، تحمل الكتاب في طريقها، لربما ينير لها الطريق، ومفتاح المنزل، لعلها تجد صاحبه الرضيع، ويا لحظها، لم تمشي كثيراً حتى بدأت برؤية نيران المخيمات، فقد توقفوا هناك لبعض الوقت إلى أن وصلت إليهم، دخلت فبدأوا بضرب الكؤوس، تبتسم وتكمل طريقها إلى الوسط لترى رأسها النائم على الطاولة، وقد فتحت عيناها اللاتان كانتا دوماً مغمضتان بصوت الترحيب، لتقول عند رؤيتها:

- عصيدة! إنها أنت إذن، من يجلب معه الجلبة كالعادة، أهلاً بك في مخيمات سيراط، هل عقدي العودة إلى المنزل هذه المرة؟
- ماذا تفعلون هنا؟
- أباك سوف يقتلني قريباً بجنونه، لا يمكنني احتمال وجوده بقربي، لذا خرجت بفرقتي لأحظى ببعض الهدوء.
- ويبدو أن المصائب جعلتك تتحركين كل هذه المسافة إلى هنا.
- نحن فقط نلاحق قطة صغيرة ضائعة هربت من هذا الاتجاه، ولكنني أدركت أننا لن نجدها بهذا العدد الضخم، لذا سنعود أدراجنا بعد قليل للوطن. أتريدين شرب شيء ما؟ (تصرخ على فرسانها) ألا يوجد أحد هنا ذو عقل ليقدم شيئاً لفتاتنا المتعبة؟

قطة؟ هل يحاولون إيجاد فلفلة لسبب ما؟ ولكنها غادرت من الجهة الأخرى أنا متأكدة من ذلك، عمن تتكلم؟

- سوف أغادر للبحث عنها! أنا بالفعل أحاول التقاط أثرها منذ مدة. هل أنت متأكدة أنها كانت تسلك هذا الطريق؟
- لا بأس، فلتنسِ أمرها، من المستحيل إيجادها في مكان كهذا. عوضاً عن ذلك، ما رأيك أن نتحرك نحو مدينة ريام؟ أمك تتحصن هناك، وأنا متأكدة أنها ستكون مسرورة جداً برؤيتك.
- حسناً، سوف أتبع مسيرتكم حتى ريام ومن ثم أعود للبرية.

تبتسم وتأمر الفرسان بشد الرحال إلى الشرق، لتغادر الفتاة معهم إلى أرض الجمال ريام، وهي تفكر في ماذا سيحدث هناك، هذه أول مرة تقابل فيها أمها منذ سنوات، هل

ستشتاق لها فتضعها في حضنها الدافئ؟ أم أنها كالعادة لن تبالي بوحش غادر ليلاحق أصحابه.

أن تكون وسط هذا الجمع من فرسان سيراط يشعرك بالأمان، بالاحتواء، بالأعين التي تتمنى فناءك، بالموت القريب، ولكن هناك من فقط يشعر بالتكبر وهو فوق حصانه، وكأن تلك العيون تزيده أناقة، ودعواتهم، بالنسبة لها، ما هي إلا علامات على فخرك، ورغم ذلك لم ترد أن تفتح عيناها إلا له، عندما كان يقاتل إلى جانبها، أتمنى حقاً لو حامية كانت أمي، هل كنت لحظتها سأسافر كل هذه المسافة من أجل رؤيتها تسعد والرحيل؟

لا تسيء الفهم، أحب أمي، فهي أقوى فارس في البلاد، ملكة سيراط الأولى، وقائدة جيشهم العظيم، لقد وضعت الحمراء في يدها ببضع ساعات حتى أصبحت قدوة الجميع، ما عداي أنا، لقد غادرت المنزل بعد ما أنهيت تدريبي، منذ تلك اللحظة لم تبحث عني أو اهتمت حتى بأمر مغادرتي، أشعر أحياناً وكأنها لا تأبه لأمر وجودي، وكأنني خلقت خطأً من الأساس.

لقد كنت مشغولة في التفكير حقاً ونحن نتحرك حتى توقف الجيش فجأة فتوقف حصانها أمامي، وصرخت:

- المدينة تحترق! الجميع تجهز لدخول المعركة. عصيدة، فلتبق في الخلف، وكونِ على استعداد.

حشد كبير يدك الأرض ليحاصر المدينة كالسوار، وأنا في الخلف أتنفس غبار الأرض، من المفترض أن أمي وفرقتها داخل المدينة، هل هاجمت قوات المعارضة فعلاً آملين أن ينتصروا عليها؟ هذا انتحار غريب.

أدخل بعد بضع دقائق عندما هدأت الأمور في الداخل، فأعبر بين الجثث والحديد الصدأ وما تبقى من المنازل المتآكلة، فتأخذ الأم ابنتها في حضنها، أو هذا ما ظننته قبل أن تسقطني أرضاً وتخرج سيفها الذي يتجاوز طولي لتحاول ضربي به، ومن ثم تقول بنبرة صوتها الغاضبة:

- هل أنت سعيدة! إنها سابع مدينة نخسرها بسببك، أنت مصيبة حلت على هذا العالم ويجب التخلص منك، فقط ضربة..

تدخل حامية بسرعة لتصد ضربتها بسيفها، وتصرخ:

- ما الذي تفعلينه؟! إنها ابنتنا، لن تمسيها، حتى ولو كانت سبب هلاكنا.
- لقد هربت فتاة ذو شعر أحمر إلى الشمال وسط المعركة، ابحثِ عنها واحضريها إلي حية أو ميتة، ولا تتدخّلِ في أمورنا ثانية.

وفي مشهد الختام، تنزعج، تعض شفتها فتنزف وهي تحاول إخراج الكلمات، ورغم ذلك تنزل رأسها طاعة، تغمد سيفها، وتبتعد. في تلك الأثناء تندفع عصيدة بقدميها وتبدأ بالركض بين اللهب دون أن تلتفت للخلف، فتلحقها حامية بسرعة منادية حتى تخرجان من مدى نظرها.

***

رأسها على الطاولة منذ ساعات، تحاول النوم الذي أمسى أقصى غاياتها في الحياة، فيمسَّ شيئاً ما وجهها، تفتح عيناها المغلقتين كالعادة لترى قطة صغيرة سوداء تمشي أمامها، ولكنها تهرب في اللحظة التي رفعت فيها رأسها، هل كان حلماً أم حقيقة، لم تهتم، بل حركت فرقتها بالكامل إلى الغرب لتبحث عنها.

(2) مصباح الغربان

تبحث عن هدفها القادم كالعادة وسط الأشجار، ووسط الظلام الدامس، تراقب كل حركة ورقة شجر أو صوت زقزقة تشق سكونها، فينبض القلب حذراً وخوفاً، وعلى الرغم من ذلك ما زالت تعبر الطرق الوعرة دون أي نية في الرجوع أو الراحة، وتمسك مقبض السيف بكلتا يديها، هي فقط ترفض تطبيق نصيحة أمها بأن تمسكه بيد واحدة عناداً رغم معرفتها أن هذه الطريقة لا تجدي في القتال السريع، وخلال مسارها ترى النور، حدث غير شائع، ضوء خافت وسط الاشجار يرافقه صوت لشخص ذو نفس خفيف، ترتعب حتى ربطت على قلبها، وأكملت السير لاكتشاف مصدر تلك الحياة. إنها فتاة نائمة تحتضن الكتب، أرجوانية الشعر، باردة الوجه، ناعمة الملمس، غريبة الأصل، صاحبة كتب قد احتلت مساحة الغابة، وشمعة لتنير طريق الضائعين أمثالي، تنام في العراء وحيدة، وفي مكان يعج بالوحوش، بل مليء بقصص الاطفال المخيفة، وأحيانا قطاع الطرق وجيش لصوص، كيف تنام بكل تلك الطمأنينة في مكان لا يمكنني أن أشعر داخله إلا بأن الموت يحدق بي في كل لحظة؟

وبالطبع ما أن اقتربت حتى حصلت على الإجابة، وهي تنظر إلي بابتسامة وكأننا قد التقينا منذ زمن طويل، تشد على الكتاب وأنا ما زلت أحمل سيفي موجهة إياه نحوها، ورغم ذلك لم يلتهم الجزع ابتسامتها، بل غيرت وضعيتها فجلست، ومن ثم قالت:

- إنها أنت من سرق الكتاب... (تتثاءب ومن ثم تكمل) ولا يبدو أنه معك، هل سقط في ريام يا ترى؟
- لم أكن أعرف أن هناك غربان تراقب العالم في الظل.
- بل قولِ ببغاءة، سررت بمعرفتك، عصيدة. شرف لي أن ألقى أميرة سيراط، حاكمة الحمراء المستقبلية، مدمرة القرى، وسارقة الكتب.
- يبدو أن سجلي أصبح حافلاً بالأشياء الإيجابية.

- للأسف الوحوش تختفي حسناتها عند أقرب سيئة يقومون بها، ربما كنت سأمدحك قليلاً لو لم تسرقي كتابي وتضيعيه في ريام.

تقف فتمدد جسدها لبضع ثوانٍ، تنظر حولها ومن ثم تقول بصوت خافت:

- هل يمكنكِ حمل الكتب معي إلى قرية عاتان؟ إنها لا تبعد كثيراً من هنا.

لم تنتظر مني موافقة على طلبها، ما أن قالتها حتى ناولتني صفّات كبيرة من الكتب، وابتسامتها الكريهة لتمشي خاوية اليدين، سأكون صريحة، كنت أريد رمي الكتب، ولكنني قررت أن أتماشى مع الموقف، فلربما هذا هو عقابي على سرقة الكتاب في السابق، وقد حان الوقت لأُكفر عن الذنب. ندخل القرية وقد حجبت الكتب علي المنظر، وكل ما سمعته الهدوء لا صرخات الجموع، كنذير شؤم ومصدر دمار محتوم، أصبحت معتادة على صرخات الناس وهم يحاولون تحذيري وإخراجي، يغلقون الأبواب والنوافذ، يهاجرون أو يبتعدون عن منظري، لذا كان من المفاجئ أن تسمع الهدوء هذه المرة.

وربما كان من المفاجئ أكثر أن تسمع خبر خلو القرية، فهي أهم القرى في البلاد، وتحتل المنطقة الرئيسية التي تفصل قلعة ريام عن بحر عاتان، وتورد الطعام بشكل رئيسي للقصر الحاكم، هذه ما كانت تتحدث عنه ببغاءة حتى تكمل:

- لقد انتشر مرض فتك بالسكان، وعندما هرب الباقي بحياتهم، سيراط قد منعتهم من المغادرة حتى لا ينشروه في أنحاء الحمراء، لقد امتلأت الأراضي بالدماء حتى اضطررت إلى حمل كتبي والمغادرة كي لا تتلوث. ضعيهم عند حائط المنزل وستتكفل ياسمين مساعدتي بالباقي.
- وكيف سمحوا لكِ بالمغادرة؟
- الوحوش أمثالنا لا تحتاج موافقة لفعل شيء تريده، أليس كذلك؟ كلانا نجول العالم بحثاً عن الإلهام، ولكننا فقط نضيع حياتنا في مراقبة مثل هذا النوع من

الأحداث. ما رأيك أن نناقش أموراً الآن أهم من حياة البشر الفانية، كيف سوف تعيدي لي الكتاب الذي ضاع منك؟

- يمكنك البحث عن آخر..
- لدي صفقة أفضل من إضاعة وقتك في البحث عن كتاب آخر لا يوجد منه نسختين، سوف نغادر إلى الجنوب نحو ريام لنحضر الكتاب، وعندما نحصل عليه سوف نجد صديقتك الضائعة المتجهة نحو صبرجاه، ما رأيك؟

وبالطبع لم تنتظر مني موافقة على عرضها، ما أن قالتها حتى حملت عصاها من المنزل وغادرت إلى الجنوب، ليس من صالحي العودة إلى ريام وهي غارقة في الحرب، ولكن ستكون مساعدة ببغاءة لي لإيجاد فلفلة شيئاً عظيماً، لذا قررت فيما بعد لحاقها والمشي خلف آثارها، فلربما حان الوقت الذي سنعيد فيه كتابة بعض الأحداث. في النهاية، ببغاءة ليست شخصاً عادياً، إنها من الوحوش المسالمة في المنطقة، حصلت على طاقتها من سحر السماء الأسود، وبعصاها استطاعت تركيز قوتها على عقلها، إنها لا تميل للحرب، إلا أنها إن أصرت على المشاركة، فدوماً ما تكون النتائج كارثية. لم أكن أصدق القصة في الماضي، ما جعل مرافقتي لها خلال رحلتنا إلى ريام تأكد لي كل ما قرأته، جمالها، قوتها، حكمتها، وعلمها، إنها شخصية متكاملة البناء، تنير الليل بسحرها، وترعب الظلام بصنعها، لم تكن وظيفتي في الطريق غير مشاهدة رقصتها وهي تحارب وحوشه، كمسرحية كنت فقط ألعب دور محركة الستار، فأكتب لكم هذه الكلمات قبل انطفاء الأنوار.

***

يدخل الغرفة المؤصدة بعد عدة محاولات باءت بالنجاح في النهاية، يعبر نحو طفلته المختبئة في زاوية الغرفة حتى تندفع بصوتها الحاد الصارخ:

- ابتعد عني، أنا وحش! قد أؤذيك إن اقتربت أكثر. [ورغم ذلك كنت أشعر أن الانسانية تتدفق بداخلي، وكنت فعلاً أكره ذلك الشعور]

- فقط العبِ دور الإنسان، عشِ الحياة التي ترغبين بها، حتى ولو كنت وحش كما تدعين، فلا تدعي هذا يمنعك من عيش قصتك الخاصة.
- ولكن.. هذا لا يغير حقيقة كوني وحشاً! [لماذا كنت حمقاء حينها، فقط ادفعيه]

يتقدم بخطوة فيحتضنها، يبكي ويشدها بقوة نحوه.

- هذا كذب! ابتعد عني! لا يمكنني تحمل هذا الشعور!

عصيدة، والتي كانت تلقي النظر نحو النهر العابر لقرية رويضة، تغير من وضعيتها لتنظر نحو ببغاءة وتقول:

- ومن ثم غادرتِ نحو عاتان مع ياسمين؟
- ربما حصل ذلك بعد أكثر من مئة سنة، لقد سقطت في الكثير منذ أن غادرت المنزل، لذا يمكنني أن أضمن لكِ رحلة ممتعة في البراري على هذا النحو.
- لمئة سنة! لا يمكنني الصبر كل هذه المدة.. عذراً على قطع قصتكِ، هل يمكنني سؤالكِ الآن، لماذا نحن في رويضة؟

تبتهج للحظة، ومن ثم تقول قبل أن تكمل قصتها:

- ألا يمكنك الصبر للحظات؟ بهذه العجلة لن تستطيعِ العيش لمئة يوم حتى.

تشعل النيران في المنزل، لهب بنفسجي يلتهم الحجر قبل الخشب، يذاب كل شيء على الأرض إلا فرسان لوردمان الذين حضروا، فتحرك يدها فيتحرك اللهب نحوهم، فلا يبقى منهم إلا المعدن المنصهر ورائحة الجثث، تسقط على ركبتيها وتنظر للأرض، ومن ثم ترفع رأسها نحو المنزل الذي لم يبقى منه إلا الذكريات، فتذرف الضحكات، بصوت مرتفع، بشكل مجنون، حتى تسجد وتبدأ بالبكاء وهي تضرب بيدها الأرض ندماً حتى نزفت.

- ما زلت أتذكر في تلك اللحظة كيف أقسمت على حماية الناس من هوس الفرسان ما دمت أملك تلك الطاقة، إن كانت النار تحرق الأعوان فيمكنها أن

تحرق الأعداء أيضاً، إن كانت الوحوش رمزاً للشر والفرسان رمزاً للخير، فسأمسي رمز الخير الجديد، ولكن كما ترين، رغم كل ما نقوم به، فنحن نقابل بالهتاف الخائف والطرد، ففي النهاية البشر كائنات كافرة.

- لأن ما نقوم به لا يغير حقيقة كوننا وحوشاً، أليس كذلك.
- نحن لم نكن أبداً وحوشاً، لهذا أحضرتك إلى هنا، فقط شاهدِ هذه المسرحية.

وهم ينظرون فجأة تدق أبواب القرية مجموعة من الضربات القوية بالمدافع، فيعبر آلاف الفرسان والخيول من جرح الجدار، يصرخ أحد الرجال هناك بأن سيراط تجتاح المدينة، فتهرب النساء والأطفال خوفاً، بينما يجتمع الصبيان ومن تعلم القتال حديثاً في مقدمة القرية دفاعاً عنها. ووسط تلك الأحداث تقترب ببغاءة فتضع يديها على السور كما تفعل عصيدة المراقبة وتقول:

- برأيك، ما الذي يجعل هؤلاء الفتية من المعارضة يحمون قريتهم بهذا الشكل؟ لقد وافقوا على خسارة كل ما يملكون ورغم ذلك لم يتراجعوا، بل سيقدمون حياتهم رخيصة من أجل هذا الفعل.
- ربما لأنهم لا يحبون الوضع الذي يعيشون فيه، فمن يحب الفقر، والجوع، واليأس، وسيراط التي تعيش في القصور، فسيحاربوننا حتى أخر نفس لهم.
- بل المعادلة أكثر بساطة من ذلك، لا يوجد سبيل أخر لهم غير القتال، في اللحظة التي قررت القرية التفكير بالخروج عن قيد سيراط الظالم، كتبوا على أنفسهم شهد هذه اللحظة.

الركاب يمرون بأقصى سرعة وكأنهم يتسابقون، وبسيوفهم يحصدون القمح وكان الحصاد وفير، فيتغير لون النهر إلى الأحمر، وبعد ذلك المشهد تعبر صاحبة الدرع مصدرة الأوامر، فيجتمع الفرسان حولها، حتى يدور حصانها الأبيض وتعود للخارج مع فرقتها.

تبتعد ببغاءة عن السور من جديد، تحمل عصاها وتقول:

- رغم أنني أمقت تلك السيدة، ولكنني فضلتها على حيواتهم جميعاً، وبالطبع فعلي هذا فقط لوجودك. الآن أستأذنك، حان الوقت لأري الفرسان ما يكون الخير الحقيقي.

لن أبكي، رغم أن قلبي ينزف دماً كلما أراها، ولكنه ما زال يخشع بلمعانها، فتتراود في رأسي لحظاتها وهي تلاعبني طفلة، وهي تبتسم، وهي تقف أمامهم لكي تحميني، حتى وإن حاولت قتلي، لا يمكنني التوقف عن حبها، فهي في النهاية أمي.

[توقفي!]

تركض بأقصى سرعتها إلى الأمام حتى تتعب، تنخفض سرعة خطواتها حتى تتوقف، بالكاد كانت قادرة على إمساك أنفاسها ودموعها، تجلس وتبدأ بالنحيب، غير قادرة على تذكر اسمها، حامية من الخلف تأتي متعبة هي الأخرى، تحتضنها، فتمر بضع دقائق وهم على تلك الوضعية قبل أن ينطقان بأي كلمة:

- أنا متأكدة أنها لم تقصد ذلك! إنها فقط...
- توقفي! لا أريد سماع أعذار أخرى! عيناها، لقد كانت جادة في كل كلمة قالتها. أنا بالفعل أستحق الموت.

[أين الخير فيما تقومين به!]

تبعدها عن حضنها فجأة، تقوم بدفعها بلطف وتضع كلتا يداها على كتفيها ليصبح وجهها مرئياً، وتنظر لها بعيون حادة وبجدية، ومن ثم تقول:

- لا أريد سماع مثل هذه الكلمات منك، ابنتي، حتى ولو لم تكن دمائي تجري بداخلك إلا أن أفراد سيراط لا يستسلمون، يوماً ما ستكونين ملكة هذه البلاد، وأمك تعي ذلك كما أعيه، إنها فقط ترغب برؤيتك تسطعين، كما

سطعت هي في السابق، لديك القوة، ولديك المهارة، ورغم ذلك أنت تختارين دوماً سلوك الطريق الخاطئ، هذا فقط ما يزعجها.

- أنا فقط أحاول أن أندفع، أنا فقط...
- ورغم ذلك سوف أكون دوماً بجانبك، أنا مؤمنة أن هناك سبيل ما تمضين فيه، هدفك الخاص. سوف أنتظر رؤيتك تعودين ورأس ذلك الوحش في يدك، أليس هذا ما خرجت من أجله.

تبتسم عصيدة ووجهها مليء بالدموع حتى خديها، فتعود إلى أحضان حامية من جديد، وتهمس بصوتها الرقيق: "شكراً"، تقف، تمسح وجهها، وبنظرة إصرار مع شعلة في القلب تخفض رأسها، حتى تكمل الركض وهي تلوح بالوداع.

[لا فرق بينكم، كلكم واحد!]

الكل ينادي بنفس العبارات، الكل يظن أنه البطل، الكل يحارب الشر والظلم الذي تصنعه سيراط، حتى الوحوش أصبحت تحارب من أجل الخير، تركتْ الناس تموت فقط لأنهم ليسوا من رعاياها، وها هي ذاهبة لتقتل المزيد بحجة أنهم أشرار، بل لتري العالم أنها الخير، وفي النهاية هي ليست إلا روح ملوثة مثلنا جميعاً، أعمتها ضغينة الانتقام وسقطت في شرك الوهم، أطلقت على هراءها محاربة ظلم سيراط ودعم الضعفاء بقوتها، وفي نفس الوقت تحكي قصتها، فارسة لوردمان، فتجعل كذبتها مكشوفة، كيف تزين لك نفسك فعلك المخزي، وتجعلك تستمرين في طريقك المزين بالمصابيح، كم هذا غبي!

من المستحيل أن تقوم أمي بشيء خاطئ، إنها أكثر شخص يمكنني الوثوق بقراراته، فهي حكيمة ذو نظرة بعيدة، وإن كان هناك من سيعترض على حكمها، أو حتى يفكر أن يقترب من وجهها، فقد حان الوقت لتظهر عصيدة في الساحة من جديد، ليست كوحش، بل كخليفة سيراط الموعودة.

ملحمة تلتهمها النيران على الطرف الآخر من النهر، الكل يحاول أن يسقط ذلك الوحش الهائج ولكنهم غير قادرون حتى من الاقتراب، ومن الخلف تتقدم تلك الفتاة الصغيرة، تتلقى بعض الاحترام منهم ومن ثم يطلبون منها المغادرة كالعادة، ولكنها تقف هناك، وبإرادتها تقول:

- أمامكم عصيدة، أميرة سيراط، ستمسك زمام الأمور حتى تعود الملكة بفرقتها. فليتراجع الجميع، ويترك قتال الوحوش للوحوش.

شخص ما يبتسم لها بفخر، ويصرخ لهم: "نفذوا ما طلبته الأميرة!"، ومن ثم يذهب لخيام المعسكر لحظة ليعود من جديد لها، وبيده درع سميك كامل، ويقول:

- حمايتك ضرورية أيضاً، هذا الدرع الصلب سيفي بالغرض، نحن نعتمد عليك أيتها الاميرة.

تتقدم وسط الدخان، رأس تنين النار والجليد حاضر أعلاها، وسيفها الذهبي تحمله بيد واحدة لأول مرة، وفي الأخرى درع من الرمل الأسود، بخطوات وهي رافعة الرأس، متماسكة الجسد، دون خوف، دون رغبة في التراجع، لتجعل من نفسها بطل هذه الملحمة، الاميرة العظيمة التي ستوقف الساحرة الشريرة.

- أعتذر على مقاطعتك، ولكن لم أعطكِ الإذن للمغادرة، بل ها أنت تقتلين عائلتي بكذبة أنك تفعلين الصواب، هل تظنين أنني غبية لدرجة أن أؤمن بكلامك، وأشاهد نهر الدماء هذا من بعيد في انتظارك، أنت وحش عابر لهذا العالم، وحتى لو كنت مسالمة في السابق، فالوحوش يجب التخلص منهم!

وبدون سابق إنذار، كلاهما يدمر حطام المكان بنيرانه، فتعبر كل منهما خلال اللهب، الأولى بعصاها والأخرى بدرعها، حتى يلتقيان في الوسط بحقد القلوب، ضربة بسيفها الذهبي تحاول من خلالها الوصول إلى العنق كانت كفيلة لتبرهن لببغاءة كم هي جادة، فتتراجع إلى الخلف عدة خطوات، وتقول:

- هل تمزحين! ألم تري قبل قليل ما فعلوه بسكان هذه القرية؟! هذه هي النتيجة الحتمية لأفعالهم...
- إنهم يتلقون الأوامر فقط، لا يوجد فرق بينهم وبين سكان هذه القرية، كلاهما يعمل لعائلته ولأرضه، وماذا عن حديثك حول الخير، هل ستزهقين المزيد من الأرواح للانتقام؟ هل تطبيق العدل يكون بالأفعال السيئة؟ إن كان هذا هو الخير بالنسبة لك فأفضل أن أقف في الصف الآخر، صف الأشرار الذين يتخلصون من أمثالك.

تعود إلى خطواتها البطيئة التي فيها تطفئ أحد الأنوار من قلبها، حتى تصل إليها دون أي عناء، وقد أحتل الظلام قلبها بالكامل، وتحطمت المصابيح الألف التي كانت تغطي بها الروح الفاسدة هدفها الحقيقي، فتسلم نفسها للموت.

- كنت أحاول فقط ألا أكون ذلك النوع من الوحوش، كنت أريد أن أصبح نوراً يرشد الآخرين، النور الذي...

وفي مشهد الختام، ضربة واحدة دون أي رحمة لها، دون أن تدعها تكمل كلامها، سئمت من ذلك الهراء الذي ما زال يعاد على لسانها، يبتل جسدها بالدماء، وتمطر، تطير رأس الساحرة بعيداً من قوة الضربة، تنظر لذلك المشهد وتفكر، تمسك الدموع وتلقي الدرع والسيف هناك، ومن ثم تحرك الجثة وتسندها على أحد أعمدة بيت بعد ما أعادت الرأس احتراماً لها، وتغادر من الجهة الأخرى قبل أن يلاحظ أحد من الفرسان ذلك، لتنطلق نحو وجهتها الرئيسية، صبرجاه.

إنها تمطر على المدينة التي أخفت ما يعنيه لنا الأمل، بشدة كانت تمطر، حتى طغى ماء النهر على قاع الأبواب، وغطى الحطب الذي أحترق وجثث من عاش، فما بقي غير أن نذكر درعها الذي ركع لأميرته، يا له من شعور يصورك ضعيفاً بعد ما أصبحت بعيداً بخطوة من تقرير مصيرك، يقولون عصيدة ابنة سيراط قد استيقظت، ورغم ذلك أشعر أن الذي استيقظ هو الوحش الذي بداخلي، على غرار ما قتلت من الوحوش، والبشر خطأ في بعض الحالات، كنت أرى أمامي عصيدة الطفلة تجري دون إعطاء الأمر ذرة اهتمام، إلا أن رؤيتها بهذا القرب، تبكي، تتعذب روحها من ماض وسنين قد أهدرت، ومن ثم أنهي كل ما بدأته، أنا، من اليوم الأول وحتى الأخير، سلبها لمستقبلها وماضيها، هذا فعل شيطان يخال لي، وهو أقرب لأفعال الوحوش عن تشريف لفرسان، إطاره مزين، ومعناه المؤلم يوبخ سمعي، فما أتذوق الآن غير لحن ندم.

"نعم، أنا الآن حقاً وحش، على الجميع أن يحذر مني، سواء البشر أو الوحوش."

قالتها وهي تنظر إلى السماء، رأسها على وشك أن يسقط للخلف من شدة رفعه، ومع حركتها يمال يميناً ويساراً لدرجة يخال لك أنها ستسقط في أي لحظة، حتى بالفعل تلطخت ركبتاها بالطين، هي تراها، نجمة في تلك السماء، بكل وضوح ترشدها، ورغم ذلك أنفاسها المتقطعة السريعة تقطع الحبل الذي تتشبث به مراراً، فتصبح عالقة بين عالمين، هذا ما تبصره، بينما تحاول أن تفهم في أي نقطة يمكنها حقاً فيها الوقوف، إلى أي درجة هي بشرية، وإلى أي درجة هي وحش؟

"سواء كنت وحشاً أم فارساً، فلا يزال من واجباتي أن أحمي الناس، هذه ليس ما يمكنني فعله، هذا ما ولدت لفعله."

لقد كانت تلك العبارة هي الخطوة الأخيرة التي تنقصها لتقرر مصيرها، ولكن تشبثها بمشهد الدماء المتناثر يغشها حقاً موقع قدميها وبرودتها، فتصرخ ضائعة، قبل أن تفتح عيناها من

جديد إلى الأرض العالقة فيها، النجوم التي في السماء، فتغمد السيف الذي علق في قلبها للحظة، وتقولها، بكل ثبوت وكأنها في الساحة تركب خيلها، وكأنها على وشك أن تسقط المنافس الذي سينطلق بخيله من الجهة المقابلة، وكأنها أمام أمها التي تبرق على الدوام، وعندما اسقطته ابتسمت، وفتحت يديها للجمهور وكأنها هي من انتصرت، كيف سيكون شعورها يا ترى عندما يروي لها الفرسان ما حدث؟ هل ستكون فخورة بأحد أفعالي الآن حقاً؟ هذا كل ما شغل بالها وهي تتحرك متعبة نحو قرى صبرجاه، فترتاح، ولو لبضع دقائق، من مشهد الفأس الذي قطع الشجرة.

لقد كان كأي يوم بالنسبة لها، تتمشى داخل أروقة القصر، وبيدها فنجان الشاي، تمر عن الساحة الأمامية بداية، كالعادة، لترى هتافات الفرسان والتحام سيوفهم، فيطمئن قلبها، ويشرق صباحها، ومن ثم تكمل المشي نحو القاعة الكبرى، مارة عن الخدم والحراس بابتسامتها الخفية، لترى الملك يفكر وحاشيته بمشاكل بلاد، فيطمئن قلبها، ويزهر مستقبلها، هناك تضع عدة أوراق طلبت منها أمامهم وتغادر مكملة رحلة الشرب في الأرجاء، تجلس لعدة لحظات تراقب درعها الصدفي في المخزن، حتى يتغير الروتين الممل فجأة بسماع صراخ طفلة في الساحة الخلفية، ومن هناك غير عصيدة، فتستيقظ عيناها قلقاً، ويسقط من يدها الفنجان، تعود من السكون إلى خطواتها البطيئة بين هرولة الفرسان، حتى تمر، نهاية، عبر جموع المشاهدين، فتنظر معهم إلى الفتاة الغارقة بالدموع وبالدماء، وجثة وحش كبير بجانبها لقى حتفه بالفعل على يديها، ما زالت تتمسك بمقبض السيف الصغير الذي غرزته داخل رأسه، وبأنفاسها العميقة التي تحارب صدرها، فتتركها عندما ترى أمها، ومن ثم تسقط على الأرض الحمراء، حركة بيدها جعلت الفرسان يعودون إلى موطنهم، فتجلس وحيدة بجانب عصيدة الباكية وتقول:

- أول صيد لك؟ تهانينا. هل أنت بخير؟ هل أصابك مكروه؟
- لم أرد قتله! لقد هجم فجأة! كل شيء حدث بسرعة وأنا...

- عصيدة! لم تقومِ بعمل سيء، هؤلاء الوحوش يقتلون الآلاف منا كل يوم، لذا صيدهم يعتبر متعة لنا، إنه ليس شيئاً تتأسفين لأجله. تريدين أن تسمعي قصة؟

تلوح موافقة، مبتسمة لها، فتربت على رأسها الذي سكن وتزيل منه الدموع، ذلك بعد ما اسقطته في حضنها:

- أول صيد لي كان وحشاً كبيراً، كان يشبه الخنزير العملاق ولكن ذو مخالب تقطع المعدن، لم يكن لدي في ذلك الوقت غير درع التدريب الثقيل، حملته بكل قوتي حتى منعني من الحركة، وذلك الوحش يضرب بقوة حتى نزفت يداي، بدأت أصرخ من الألم، لم يكن بحوزتي سوى الاستسلام.
- ولكنك لم تستسلمي!
- بالطبع لم أستسلم، فأفراد عائلة سيراط لا يستسلمون، حتى إن آل القدر بنا إلى مسار حقير كذاك، فنحن نقف بكامل قوتنا وعزيمتنا، ونجاهد بروحنا وندفع بها من أجل مجدنا. رميت الدرع، وركضت بسيف أونرليس، سيفي الأول، متيقنة من كل قلبي أن حياتي قد انتهت، ولكن عندما لاحظت إمكانية جرحه بينما كنت أتلقى الضربات الساحقة لدرجة تكسرت أضلاعي، علمت أنه لا يزال لدي فرصة، حتى سقط بضربة مباشرة في القلب مثلما فعلتي. لقد كنت سابق هذا الحدث أعامل كأميرة، ولكن بعدها قررت أن أتدرب مع الفرسان، حتى أصبحت أمك ما هي عليه اليوم، قائدة فرسان سيراط اللامعة، وسأقولها صراحة، يبدو أنك أقوى مني بكثير أيها الوحش الصغير!

تُخرج قدميها من بحر الرمال بعد أيام من الغرق، الغطاء الذي تحمي به بشرتها من أشعة الشمس بدا مثقوباً بشدة حتى لم يعد يخفي هويتها، إنها عصيدة التي يكره الجميع حضورها ووجودها، ولكنها على الأقل تمكنت من الاختفاء بين صفوف الزحام من أعين فرسان لوردمان، فتفرُّ من قبضة المدينة المحصنة دون أي مشاكل، أو هذا ما ظنّته حتى نادت عليها فتاة فجأة من بين الجموع، تسرع بخطواتها مبتعدة بينما تلك الفتاة تأبى تركها وما زالت

تنادي باسمها، تقف وتضع يدها على المقبض، ترمي الرداء نحوها، تستدير لحظتها، وتلوح بسيفها، فيكون نصله على بعد شعرة واحدة من قطع رقبتها، بكل هدوء وبرود فعلتها، قبل أن يكشف لها بأنها فتاة عادية فحسب، فتعيد سيفها إلى بيته وتقول:

- لو كنت أنتِ، سأبتعد ميلاً عن هذه الفتاة. ماذا تريدين؟
- أنتِ حقاً عصيدة التي قتلت اللهب، أنت هي وحش الرأس حقاً، يا لحسن حظي!

خلال كلماتها الأخيرة تجتمع الناس حولها، يميناً ويساراً تنظر دون أن تنحي رأسها، نظرة خاطفة على استحياء على الجموع، تتضايق، همساتهم حولها تعبئ الهواء حتى أصبح لا يطاق، فتنزل نفسها لتلتقط الرداء مغطية به نفسها، وتركض محاولة الخروج من هناك، لحضورها في صبرجاه خطير، هي لم تكن تريد جذب أي انتباه، ورغم ذلك تبعتها الفتاة الغريبة، وبهذا فشلت خطتها، وبعد أن سئمت من الأمر توقفت، بل تحركت في الاتجاه المعاكس ممسكة بقمة زيها:

- لن أكرر سؤالي هذه المرة! ماذا تريدين؟!
- مباشرة هكذا؟ هيا! من بين جميع أفراد سيراط الذين قابلتهم، أنت هي الأكثر خوفاً وقلقاً، رغم أنك الأقوى، يا له من أمر غريب. ما رأيك بشراب بارد يهدأ أعصابك قليلاً بينما أعرف عن نفسي؟
- سنذهب إلى حانة، أريد أن آكل أيضاً.

تمسك يدها وتتحرك بين الأزقة، رشيقة وخفيفة تتحرك في الزحام وكأنها معتادة عليه، وينظر الجميع لها باحترام حتى تتغير تعبيرات وجوههم برؤيتهم لهذا الوحش الذي يرافقها، هي معتادة على ذلك، بل على الأقل لا أحد يجبرها على المغادرة أو يرمي الصخور ناحيتها، تجلسان على الطاولة معاً مع همسات الجموع، ولكن لا يهتم أي منهما هذه المرة.

- كنت أتسائل لماذا جئت إلى صبرجاه؟ لقد فقدت سيراط السيطرة عليها بالفعل منذ مدة، لذا كان من المفاجئ أن أرى أميرتهم بنفسها تحضر وحيدة، هذا يعيد لي الذكريات نوعاً ما.
- فقط أبحث عن شخص كان متجهاً إلى هنا. (فقط؟) (حتى الآن!)

تقترب منها بعد ما وضعت يديها على الطاولة بجدية وتقول:

- هناك مهمة مدفوعة لقتال وحش في شمال المدينة، أنا أجمع بعض الناس لمساعدتي في قتاله.
- لن أشارك، لا أريد البقاء هنا لمدة طويلة.

تهبط عزيمتها الملتهبة فتعيد يداها، وبتأفف تقول:

- هذا ما توقعته، فالوحوش لا تحارب بعضها البعض، لقد ظننت أنك مميزة لقتلك ببغاءة، ولكن يبدو أنها وقعت مصادفة فحسب... ولكن أتعرفين، إنه قوي وكبير، إنه ملاك! ألا تريدين على الأقل رؤيته؟
- ملاك؟ هل هذه مزحة؟
- سأمنحك خمسين ألف عملة ذهبية، وثلاث قرى إن وافقتي، وإن استطعنا قتله، سأعيد تسليم مفاتيح المدينة إلى سيراط، وسأحارب معكِ بالطبع، أنا شيطانة صبرجاه وملكتها السرية، قطينة.
- أظن أنني غيرت رأيي الآن! (قالتها وهي تركع على ركبتها) سعدت بلقائك أيتها الملكة، وأعتذر عن تصرفاتي الغير لائقة التي صدفت مني جهلاً.
- لا بأس حقاً! أرفعي رأسك!
- شكراً على كرمك. متى سنحاربه إذاً؟
- إنه قوي، لن يكون من الممكن الانتصار عليه بقوتنا فقط، نحتاج المزيد.
- ما رأيك إذن بمساعدتي في البحث عن صديقتي في صبرجاه، إنها وحش أيضاً.

- وستساعدينني في إقناع الجليد مشاركتنا في القتال. فريق من أربعة وحوش، أنا متأكدة أننا سنتمكن من هزيمته بهذه القوة.
- يبدو هذا جيداً بالنسبة لي، اتفقنا!

تبتسم وتعانقها فجأة وكأنها حققت لها أمنية، ومن ثم تمسك كلتا يديها وتشكرها بكل حر، مع دعوة لاحتساء شراب في القصر غادرت، وحتى في طريقها بقت تلوح بيديها وعصيدة تنظر باندهاش في الخلف دون أن تقوم بأي حركة، "يا لها من ملكة طائشة!" قالتها بصدمة فحسب، لتكمل المشي في الانحاء بحثاً عن أذني القطة الضائعين.

***

تقف بعيداً تراقبها تجر الحقائب، والفرسان حولها من كل مكان يجتمع، الجميع يحاول أن يكون صاحب الشرف الذي يساعد الملكة على مغادرة صبرجاه، ولكنها لم تهتم لأحد منهم، بل بدأت تلوح لفتاتها، فتبتسم وتجري نحوها لتودعها، وبعد الحضن الطويل تجلس على ركبتيها وتكلم تلك الصغيرة:

- لن أغيب طويلاً عن المنزل، ولكن حتى عودتي أريد أن أعطيكِ نصيحة، لا تقتربي من النار كثيراً، هي في بعض الأحيان تكون الدفء الذي ينير لنا الطرق المظلمة، ولكنه من الداخل جحيم سيحرق جثتك عندما يتسنى له الفرصة، إنه مخيف ومؤلم، ورغم ذلك يكون أحياناً الفرج لمشاكلنا. أيضاً لا تنسي ما أقوله لكِ دوماً..
- سوف أبتسم! دوماً سوف أبتسم.
- حاربي الشر بابتسامتك، لا تجعلي أي شخص يسرق تلك الابتسامة منك، فهذا هو المعنى من الحياة، حان الوقت لكي تعتمد على نفسك. لقد كبرت حقاً أيتها الشيطان الصغير!

"هل سوف تعود؟"

- فرسان سيراط يخترقون البوابة!

"لن تعود، أليس كذاك؟"

- (؟) من كان يصدق أن لوردمان ستترك أكبر معاقلها لسيراط! وخلال ثلاث ساعات فقط، وبدون استعمال أي وحوش أيضاً! في كل مرة أتحرك بها مع صفوفهم يدهشونني، إننا نعيش في العصر الذهبي لعائلة سيراط بالطبع!

لقد كانت جالسة وحيدة في حديقة القصر مما جعلها بارزة، وكما لم تأبه لأمر احتلال المدينة، لم تأبه بصرخات النجدة وضربات السيوف التي انتشرت حولها، تنظر فقط لبعض الفرسان المارين داخل القنوات الطويلة، فترى أن فتاة من ذلك الجمع تنظر إليها من أحد الشرف، تلتقي العيون، حركات وتأسف لكي تترك الجمع ومن ثم تظهر في الأسفل، تلوح من بعيد، ومن ثم تقترب أكثر لتجلس بجانبها، دون أن تعطها قطينة أي اهتمام:

- ما الذي تفعله فتاة صغيرة هنا؟ لم لا تغادرِ رفقة الآخرين؟
- ولماذا أغادر؟ هذا هو منزلنا، أليس أنتم من عليه المغادرة؟
- (بابتسامة تكبّر) ولكنه لم يعد منزلكم بعد الآن، صبرجاه هي معقل سيراط الجديد لبداية احتلال الشمال!
- سوف ترحلون يوماً ما، وعندها سيعود هذا المنزل لنا، فما أنتم إلا عابرون.

ابتسامتها تتسع بينما ترفع رأسها، تمسك يدها حينها، وترفعها عن عشبية الحديقة، ومن ثم تتحرك عائدة وقطينة خلفها لا تدري ماذا تقول، فاستمرت فقط بالمشي خلفها، حتى تفلتها وهي في الممرات قائلة:

- اسمي ريانة، المتحكمة الجديدة لهذه المدينة، هل يمكنك مساعدتي في إدارة منزلكم حتى أغادر؟

تفتح قطينة باب القاعة غاضبة، تبدو مخيفة بهذه الحالة فلم يجرؤ أحد أن يحادثها، تضع سيفها على الطاولة، ومن ثم تمشي متجهة نحوها، خلال ذلك الفعل تقوم ريانة بإخراج المستشارين والحضور، على الرغم من توترها إلا أنها تحاول أن تفهم الموقف كما يعتاد منها، فتنسل من الكلمات ما يهدئها ويشفي قلبها، حتى تقف وتقول:

- إنه منتصف الليل بالفعل!
- تعرفين، أمور الإدارة صعبة بعض الشيء.
- أنا هنا، ألم تقولي أني سوف أساعدك؟ أصبحت كبيرة بما يكفي لفعل ذلك.
- قطينة! عمرك لم يكن أبداً المشكلة، كما أقول لك دوماً، إنها أمور حساسة وما زلتِ تحتاجين إلى مزيد من الوقت لكي تعتادي عليها.
- قطينة، قطينة! أنت ترهقين نفسك كثيراً على حسابي، ألا يوجد حقاً أي شيء يمكنني القيام به لأجلك؟
- أنا بخير حالياً، شكراً على لطفك الشديد.

"بخير؟ لم تنم منذ يومين وها هي تتحرك من قاعة إلى أخرى، ما هي مشكلتي؟"

غادرت ومرت الساعات، لقد كانت تمشي خلال أروقة القصر حيرانة بين لحاق وهمها أو مساعدة خيالها، حينما لاحظت حامية عائدة من المعركة مع فرقتها، تهرع إلى الأسفل حتى تقف بجانبها، تبتسم لها بينما الأخرى تربت على رأسها، فتسألها السؤال المعتاد:

- تبحثين عن طريقة تساعدين بها ريانة؟ أظن أن أسهل طريقة لمساعدتها هي عدم التدخل في أمورها، لا يوجد من يستطيع تحمل مهام ريانة غيرها، إنها بطلة عائلة سيراط الإدارية، في بضع شهور حولت الجحيم الذي صنعته الملكة إلى مدينة مزدهرة بالكامل. ربما سيكون عليك سؤالها مباشرة إن كانت تحتاج أي شيء منك.

- هي لا تثق بي، دائماً ما تخبرني أنها بخير، ولكنها في الحقيقة تضغط نفسها بشكل كبير طوال اليوم، أريد أن أكون صديقة جيدة لها وأساعدها، ولكنها لا توافق أبداً على ترك أي شيء لي.
- اجعلِ نفسك محل ثقة لها إذن! إن رأت أن بإمكانك مساعدها، فأنا متأكدة أنها حينها ستشركك في مهامها! هل جربت تقليد ما تفعله؟
- لا لم أجرب، شكراً حامية على النصيحة! سوف أحاول ذلك.

لقد كان يوماً عادياً كسائر الأيام، تمشي قطينة في الممرات وهي تنقل الاوراق من مكتب لآخر، تستضيف الزوار، تراقب الشمس حتى موعد غروبها، الموعد الذي تشاركه الفرسان لعودتهم، وقبل أن تذهب لاستقبالهم ترى ريانة بملامح انزعاج من بعيد، تُوقف قطينة ومن ثم تكمل طريقها، يتكلمون، يغادرون، حتى تحضر قطينة الواقفة في الخلف.

- ما كان هذا؟
- لقد حان الوقت، هل أنت جاهزة لتستلمي المنزل؟
- سوف تغادرين؟
- هناك وحش هائج في الشمال يدمر قرانا منذ فترة، وجميع فرسان سيراط مشغولون في حروبهم مع لوردمان، لا يوجد حل إلا أن أقوم بقتاله مع فرقتي. لا تقلق، ربما أخفض من قدر نفسي فقط، وأعود إليك!
- ألن تعود؟
- (همستها في أذنها) إنه وحش من المستوى الأول. سأحاول أن أعود، فلا أحد يحب الموت، ولكن لن أضمن لك ذلك، وحتى يتم تأكيد أمر نجاتي، لك الحق في التصرف بما تريه صائباً في المدينة. (تنظر إليها منخفضة الرأس) لقد كبرت حقاً يا ملكة صبرجاه.

"لن تعود، ولكن من أنا لكي أوقفها"

"لن تعود، ولكن من أنا لكي يساعدها، فقط سأبتسم لمغادرتها كالسابق"

لقد كانت جالسة تحت أثر قديم، سيفها الذي لم يمس شيئاً يجلس بجانبها خائباً، والشمس في الأعلى لو شاءت لكتبت من حياتها قصة، ولكنها خلفه لا يمكنها وصفها مختبئة، حتى أقبلت حامية، تلك السيدة الحنونة، فتراها ممتلئة بالدماء دون جروح غير قادرة على الحركة، ترفع رأسها حزينة عند رؤيتها، ولكنها تبتسم ابتسامة خفيفة لكيلا تكسر عادتها، فتحصل في المقابل على تربيت على رأسها كالمعتاد، حتى تجلس بجانبها وتقول:

- هزيمة أخرى؟
- سوف أقتله يوماً، أحتاج فقط المزيد من القوة، حتى أخير الفرسان غير قادرون بتاتاً على مجاراة هذا النوع من الوحوش، لذلك سمي بالمستوى المستحيل. يجب علي البحث عن طريقة أخرى.
- ماذا عن الاستعانة بالوحوش؟ مع قوتك أظن أنها ستكون تشكيلة مناسبة لقتاله.
- هناك من نصحني بعدم اللعب بالنار، أخشى أن ينقلبوا ضدي، ولن أكون حينها قادرة على قتالهم. أسمعت بالنزال الذي حصل بين الرأس واللهب؟
- عصيدة فتاة مخلصة بسيطة، أنا متأكدة أن لها أسبابها الخاصة فيما حصل، والمخلب تختبأ هنا بالفعل، والجليد تحصن نفسها في كهف قريب، بقوة أربعتكم يمكنكم قتاله بسهولة، ألا تعجبكِ الخطة؟
- وهل ستساعد سيراط فتاة لوردمان على فك التحالف بعد قتله؟
- سأجعل الملكة بحد ذاتها تأتي لقتلهن وتستعيد المملكة، لذا لا تتعب نفسك في التفكير بالمستقبل.

تقف على قدميها بينما ترتكز على الأثر، فتمد حامية يدها، حينها تعودان معاً إلى صبرجاه، صامتتين طوال الطريق، لقد كانت تحاول التفكير فيما إن كانت خطة حامية طريقة مناسبة لكي تقاتل فيها ذلك الوحش أم لا، بفرقة صغيرة لا تتعدى ثلاث وحوش مستقرة يقودهم شيطان ضد وحش مهيج، يا لها من طريقة غير عادلة بتاتاً.

اخبرني، ما الذي جعل سيراط تختار صبرجاه من بين جميع معاقل الشمال؟ صحراوية، فقيرة، تاريخية، منخفضة الأرض، مسطحة، دون ماء، هذا ما سألته نفسي حتى تخطت قدماي الديار، حتى اتجهت لشمالها، تحديداً قرية سيماه، لم تكن العاصمة، ولكنها كانت المنطقة الخضراء الوحيدة فيها، وذلك لأنها تحتوي عين الماء الأخيرة التي تمد كامل المدينة بالماء والطعام ليتسنى لهم الاستمرار في الصمود، إذن، لماذا اختارت سيراط صبرجاه من بين جميع معاقل الشمال؟ هل عرفت الإجابة؟ تتخطى الخيول المدينة حتى تتمركز في سيماه، تقطع المياه عن المدينة، تهديد صريح بأن معكم على الأكثر ثلاثة أيام لتخرجوا، أو ابقوا فنحن القادمون، ثلاث ساعات كانت كفيلة لأسقاط فرسان جوعى وعطشى، بغتة، هي فرقة ريانة تفكر، والفرق الملكية تهاجم، صانعين الجيش الذي لا يهزم، العصر الذهبي لعائلة سيراط، ولكن فقدان ريانة وفرقتها كان صفعة قوية لعائلة سيراط، بداية الانحدار، وثوار فمرسا سمعتهم بدأت تلمع أكثر بإسقاط لوردمان في الجنوب، بينما حدث العكس لقصر سيراط الحاكم، معارضة شرسة ولدت من غضب الشعب لاحتلال الوسط والشمال، ممولة من منظمة الفرسان الأحرار الواقعة في كوفا، قاطعة كامل أنشطة الحمراء في القارة، فوضى تدمر المملكة، وسيراط هي من تدفع ثمنها.

جمال سيماه ينسيك ذلك الماضي الذي قد درسته، وتاريخك عندما مضت بأقدامها هنا محرقة الأزهار، فهي في كل مكان وكأنها لم تحتل من قبل، بآثارها وحدائقها المعلقة، كيف لا تكون مركز صبرجاه وهي بتلك الجمال، وما دار في عقلي عندما رأيتها، لابد أن يكون اللص الذي أبحث عنه مختبأ وسط متاحفها، فالقطط تبحث عن الذهب لا الرمل، والماء الذي يسقي القمح هو الوجهة التي قد تغوي أي عقل شخص جائع في صبرجاه.

تبتسم عند مدخل الباب، كانت تريد القيام بشيء سخيف فضحكت وهي تفكر به، ربما هو سخيف حقاً ولكن هناك فرصة بأن ينجح، لذلك ستقوم به، تحلق الأبواب مع شعرها الأبيض المزرق، فتجمع أنظار الجالسين وكأنها ضيف مميز، وهي كذلك بالفعل، تجلس وترفع يدها عالياً في السماء، تقترب خادمة، وقد كانت الأشجع من بينهن، الوحيدة التي

تستطيع مقابلة عصيدة، حضورها بهذا الشكل يناسبها، كان كل شيء يمشي وفق الخطة، حتى انخفضت إلى أذنها وهمست بصوتها المنخفض:

- لو سمحت، غادرِ المكان فوراً وألا سأجلب الفرسان لطردك!
- أربعة أكواب من فضلك! و ... ماذا قلت؟!
- ما قلته واضح. غادر الآن!

تحرك الكرسي للخلف لتقف، كانت تريد بدء شجار، ولكن قبل أن تضع يدها على المقبض كان سيف أحد الحضور على رقبتها بالفعل، وآخرين يجهزون أسلحتهم ومن بينهم رامٍ في الأعلى، يقول:

- هل تظن سيراط أنها ستستطيع السيطرة على المدينة من جديد؟ أين هم فرسانك؟ أين يختبئون؟ سيماه بيدنا نحن ثوار فمرسا، وإن حاول أحد منكم القدوم، سنصنع منه مشهداً تاريخياً يسجل كنهاية سيراط!
- ثوار فمرسا؟! أليست صبرجاه بيد المعارضين؟
- إنها كذلك حتى الآن، وإن كنتم تريدون إيقاف احتلال الشمال الجديد، اسرعِ بإخبار أمك أيتها الطفلة.

حان وقت استعمال الرداء من جديد، تلقيه مع لهبها في السماء، فيغطي الدخان الأسود أعين الرماة، ورداءها الذي انزلقت تحته يوهم المقاتلين، حتى بروزها من جديد على أحد الطاولات، كانت لحظة حتى عادت الأمور لمجاريها، تحمل سيفها محاطة بعشرات الفرسان المدرعين، وتحتهم الخادمة المرعوبة التي رفضت طلبها تزحف بين أقدامهم، تنزل النصل ليكون في اتجاهها وتقول:

- يبدو أن الأمور ستشتعل. وجبة اليوم الخاصة، وكوب واحد من فضلك!

سهام عند قدميها تكسر الطاولة، وسيفها الذي علق في السماء يسقط أرضاً بعد ما تركته لتمسك رقبة الفارس الذي أمامها، عندها رأس التنين يعلم أين يضرب، ولهبها الأرجواني

يعلم أين يكون المخرج، فتسقط المكان على رأسها متخذة جثة ذلك الفارس درعاً لها، وعندما ينجلي الدخان ترفع رأسها وسط الحطب المشتعل، تعطس عطستين، يتلوه تلويح برأسها يسقط الرماد من شعرها، ولكنه يبقى رمادي اللون مزرق، وحينها قد انتهى الليل بالفعل.

تفتح أبواب الحانة لتراها نائمة على أحد الطاولات، فمنذ مجيؤها لم تلتقط غير نظرات الحقد وبعض السهام، جائعة وجبتها أمامها لم ترد تناولها لسبب سخيف، ومنذ أن وضعت رأسها على الطاولة مللاً، سقطت في شرك نوم عميق، شخص يرجع لها الكرسي قبل أن تجلس عليه، تعرف ذلك من صوت الجر الثقيل، ومن ثم تجلس بهدوء وتبدأ بالحديث:

- هل هذه عادة عند فرسان سيراط؟ دائماً ما يكونوا متعبين.
- قطينة؟ كان من المفترض أن ألتقيكِ في القصر، ولكن لا أثر لها في كامل المدينة، ولم أرد أن آتي خاوية الأيدي. لم استسلم بعد، سأستمر في البحث عنها حتى يصبح وجودي هنا مستحيلاً.
- لا بأس، يبدو أن اختيارك للحانات جيد. لا تقدم؟
- ولا حتى شعرة لها، يبدو أنها لم تأتي إلى هنا بعد، أو أنها تختبئ في مكان لا يخطر على بال بشر.
- هذا يعني الأولوية الآن للجليد، غداً سنذهب، إنها تتحصن في كهف قريب.
- ألديك طريقة معينة لتقنعيها؟
- إما أن تصاع لأمرنا أو نرحل.
- عشوائي جداً. كنت أريد سؤالك عن أمر ما، ماذا تفعل فمرسا هنا؟
- ثوار فمرسا تقصدين؟ إنهم موجودون في كل مكان، الجميع يريد منهم حكم الحمراء وإسقاط سيراط، تعرفين ذلك، صحيح؟ أماكِ تقاتلان بكامل قوتهن في الخارج صفوف المعارضة على الدوام فقط لمنع حدوث هذا.
- وعودة صبرجاه لهن ستكون تطوراً عظيماً في هذه القضية، أليس كذلك؟

- عودة صبرجاه لهن تعني إحكام قبضتهن على كامل الشمال، لذلك انتصارك في هذه المعركة لا يعني فقط انقاذ المدينة، بل إعادة سيراط إلى رشدها من جديد.

تعيد رأسها إلى الطاولة لترتاح، ذلك بعد تناولها الطعام، فعليها الآن العودة من جديد إلى الشوارع للبحث كفرصة أخيرة، وما معها غير بضع ساعات إضافية قبل أن تفقد الأمل، تفكر رفقة إرهاقها الذي يشق الجسد: ولكن ماذا كان اسمها؟ ولمَ أهتم بأمرها حتى؟ لقد غادرت، بل غادرت بعد ما استغلت وجودي لتهرب من المدينة، هل إعجابها بي حينما قضيت على الوحش جعلني متعلقة بها؟ أم اليومين الذَين مضينا بهم معاً؟ فلفلة قد كان؟ هل لمعان عيناها الذي لم يعطني إياه أحد، جعلني متعلقة بها إلى هذه الدرجة؟ يا لها من سخرية.

"ولمَ أبحث عنها؟ ألن أكون قادرة على القضاء عليه بمفردي؟ لن يكون أقوى من ببغاءة على أية حال."

إنها تبتعد، يختفي أثرها مع كل خطوة على تراب الغربة خارج موطنها، لقد رافقتها الدموع في رحلتها، وبؤس دفين، فالسيف الذي كسر بيدها عندما ضربه المنجل لم يكن أكثر من هدية وحيدة منها، هي لم تكن ترغب حتى في استعماله آنذاك، إنها تطفو على ساحل غير مرغوب به أيضاً، رثاء على درب، حلم لم يكن إلا طريقتها الخاصة لإظهار مشكلتها، نالت في أيامه العديد من المشاكل الأخرى، لقد أصبح حلمها الجديد أن تنسى ما كانت تمضي لأجله، وفي المقابل نالت شيئاً نقيضاً، لقد سقطت عن سلم كانت في درجاته الأعلى، من أجل أن تبرهن لهم أن بإمكانها الطيران.

لقد سقطت أرضاً بعد ضربة قاسية، متدحرجة لحظتها لتجنب مخالب الغضب، وقبل أن يقبض روحها ترفع يدها لأجله، لم تكن تعرف معنى الألم حتى تلك اللحظة، بقايا الدرع تتناثر في الأرجاء، وبرفقتها قطع لحم ونزيف لا ينتهي، تحتضن يدها منتحبة أرضاً، وبكل يأس تنادي أمها بصوتها المنسي، زلزال تحت جسدها المتجمد لتكون الحركة القادمة خاتمة لهذه الحكاية، مع خطواته الساحقة، تغلق عيناها غير قادرة على إيقاف القطرات

المتأرجحة، وبينما يلتهم اللوم قلبها الصغير، مؤنّباً نفسه على خروجه، هربه من حياته لأجل غاية كاذبة، وذهابه متكبراً إلى هنا، تفتح عيناها لترى النور لمرة أخيرة، فترى شعرها الأبيض، على بعد أميال من الوطن، تبتسم وكأن حلمها تحقق أخيراً، على بعد أميال من الوطن، تظهر بنفسها من أجل عصيدة، حينها تسقط يدها التي تحمل السيف وكأن القتال انتهى، وتبدأ بالضحك.

يلتف ظلها رفق سهم على مقربة من عينيها، إنها تنظر إليها بجدية تامة، صارمة قاسية معذبة، ومنجلها الذي ثبت الوحش في مكانه يخرج ليحلق في السماء، يتبعه قفزتين بين مخالبه لتصبح خلف الفتاة الساقطة، وزئيره يجعلها خلال قفزتها الثالثة غير مستقرة على الأرض، إلا أن منجلها الساقط بجانبها يقوم بسندها، فتقول لها:

- لا أهتم بما كنت تفعلينه هنا، ولكنك إن لم تكونِ قادرة على القضاء على وحش كهذا، فلا مكان لك في هذا العالم. أتكلم بجدية، إن لم تقومِ بالقضاء عليه هنا والآن، فسوف أقوم بقتلك، جزء التنين لا يجب أن يمتلكه المنهزمون. السيف على يمينك، وعلى يسارك قارورة شفاء سريعة المفعول، وأمامك الهدف، أثبتِ لي يا عصيدة أنك تستحقين لقب وحش الرأس!

ولكنني ظننت أنها أنتِ جئت لإنقاذي، لم أعلم أنها نسخة أكثر بغاضة منك. سأسميها الفتاة التي لا تلقي بالاً لأي شيء، لقد وقفت هناك تنظر إلي وأنا أسقط، وأنا أجرح، وأنا أقطّع، وكل ما كانت تقوم به هو إلقاء تعاويذ شفاء سخيفة كلما أكون على شفا الموت، محاولاتي التي لم تكن تجدي نفعاً جعلتني أدرك أنه سيكون من المستحيل هزيمة شيء كهذا، فقمت برمي السيف نحوها، لم ترمش حتى، ما جعل اليأس يلتهم كامل عقلي لدرجة أصحبت عيناي مغشياً عليها لا ترى ما خلفها، ومع ضربته التي كان من المفترض أن يقضى عليَّ فيها، يقف منجلها بيننا كالملاك الحارس، تتقدم مخرجة ذلك المنجل من الأرض، غارسة إياه في رأسه واضعة إحدى قدميها عليه.

- لماذا قمت برمي السيف؟ أظننتِ أنه يمكنك الهرب بحركة كهذه؟

- لماذا لم تقضِ عليه منذ البداية؟! أكان يعجبك صراخي بينما أقف هناك؟!
- لأن هزيمة وحش من هذا النوع هو أقل ما أتطلعه من مهاراتك، ألست من قضى على ببغاءة أم كانت تلك ضربة حظ فقط؟ سأكون صريحة، لن تكوني قادرة على العيش إن لم تكونِ قادرة على هزيمته، عليك أن تدركِ أنك بتِّ هدف للكثيرين في هذا العالم، هدف لأمثالك قبل أن تكون هدفاً للمملكة الأخرى، لا أطمع بأكثر من القلب، ولكن هناك من سيلتهم الشجع قلبه حتى يهرع مسعوراً نحو أجزاء التنين خاصتك. كونِ حريصة في أيامك القادمة يا عصيدة، وتذكري أنهن حولك دوماً لمساعدتك.

لقد غادرت حينها، ليست تاركة لي منها غير تلك الذكريات والكلمات، نسيت كيف كانت ملامح وجهها عندما قالتها، فقد كانت الدموع العالقة تحجب علي الرؤية، فقط أعلم أنها كانت سعيدة بلقائي مع مغادرتها، يمكنني فقط تذكر ذلك.

تسقط مباشرة فور خروجها بتلك الضربة، وبقايا سيفها السحري تتناثر كما تناثرت بقايا درعها في الداخل، إنها تنظر إليها من جديد بنظرة جادة، صارمة قاسية معذبة، وتقول:

- لقد غيرت رأيي، عليك مرافقتي حالاً، سنغادر نحو ريام!
- ماذا حصل فجأة؟! وذلك السيف! يا إلهي، لماذا قمت بكسره؟! أيتها البغيضة!!
- إنهن قادمات! علينا الخروج من هنا بسرعة، وفرِ كلماتك لوقت آخر.

لم أعرف عمن كانت تتحدث، ولكنني شعرت بالخطر من كلماتها، إن كانت فتاة مثلها، بتلك القوة وبتلك المهارة، تريد الهرب منهن، مهما كن، فذلك زرع الرعب في قلبي، جاعلاً من هذه الفتاة العاجزة عن المشي، في مشهد الختام، تركض خلفها نحو الجنوب من جديد، بدون درع أو سيف هذه المرة، ظلها فقط ما يحميني، وسهامها التي تحلق في السماء، مؤمنة أن ما تقوم به هو الصواب، ولكن من هي على أي حال، القلب؟ هل هي حقاً الوحش الذي يملك القلب؟ ألا يعني هذا أنها الأعظم من بيننا؟ إذاً مما تهرب؟

(4) بوابة الكره

لقد أسقطتها أرضاً رفقة سيفها فور دخولها، تنقض عليها دون رحمة، وكأنها لم تحيا في رحمها تسعة أشهر، ما لفت انتباهي حقاً حينها كيف تغيرت، هي ليست ملكة سيراط الشابة التي نعرفها، إنها أسرع انزعاجاً، أقل نضجاً، وكأن الزمان الذي تعيش فيه قد عكس، نعم هذه هي العبارة التي أحاول الوصول إليها، وكأنها تتعلم كيفية السيطرة على المدن التي قد سيطرت عليها بالفعل في شبابها، وكأنها تحاول امساك رايتها بإحكام وفرض قيودها على كل شخص ممكن، كطفلة هي عصيدة، لم تقم بالتنكيل حينها، لقد قامت بالكثير من الأخطاء ولكن لم تقد أي منها إلى مرحلة المعارضة الشرسة التي تعيش فيها سيراط الآن، لقد أغفلتِ ذلك، أنتِ من أحكمتِ بشدة القبضة حولهم، إنهم يختنقون.

خلال تلك الكلمات التي دارت في بالي، أخرجت سيفي لأحميها، فأنا من قادها إلى هلاكها منذ البداية، هي لم تكن تريد رؤيتها، وكان ذلك قرارها الأفضل، تلك لم تعد أمك التي تتذكرينها، هي ليست من قام بتدريبك في الحديقة، هي ليست من أمسك ذراعي بينما نحارب في فمرسا، هي ليست من ظهرت كقدوة العالم، مثالاً للفاتح العظيم، إنها محتل صارم، جبارة شرسة بلا عقل، ستقاتل ما دامت الطاقة تسري في عروقها. نظرت إلي حينها وكأنها تتمنى لي الموت، بكل حقارة وكأنني لم أرافقها في جميع معاركها، وكأنني لم أنقذها قبل قليل من حصار المعارضين، تصر أن تهبط سيفي، فيمسي مقامه تحت سيفها كالمعتاد، وتقولها دون أدنى اهتمام:

- لقد هربت فتاة ذو شعر أحمر إلى الشمال وسط المعركة، ابحثِ عنها واحضريها إلي حية أو ميتة. ولا تتدخّلِ في أمورنا ثانية.

المزيد من الأوامر؟ بعد كل ما قمتِ به ما زلت تقومين بتلقيني الكلمات؟ من اعطاك الحق لفعل ذلك؟ بعد ما رأيته من جنونك، كجر المملكة إلى حرب طويلة في الجنوب طمعاً، أو حتى الآن، قتل خليفتك بكل برود لأنك غاضبة من هزيمة أخرى، أتظنين أنني

سأطيع أوامرك؟ الحياة في سيراط لم تعد تطاق، حقاً أعني ذلك، الحياة في سيراط لم تعد تطاق، أظن أنني سأنسحب من هذا السباق عاجلاً أم آجلاً.

لقد كانت كدمية صغيرة وهي تحتضنني حينها، طرية وخفيفة، بدموعها جعلت قلبي المحطم يدرك محيط الإطار لتلك القضية، لا يتعلق الأمر فقط بالملكة، علي أن أنظر إلى ما أبعد من ذلك، هذا ما جعلني أسحب ما قلته سابقاً، يجب علي البقاء لمساعدة هذه الفتاة على إكمال مسيرتها، سيراط تحتاجها الآن أكثر من أي وقت مضى، هي الوحيدة القادرة على أن تعيد الأمور إلى سابق عهدها، وهي الوحيدة التي يمكنها مواجهة أمها.

- أنا مؤمنة أن هناك سبيل ما تمضين فيه، هدفك الخاص. سوف أنتظر رؤيتك تعودين ورأس ذلك الوحش في يدك، أليس هذا ما خرجت لأجله.

لم أعرف عن أي وحش كنت أتكلم، ولكنه الشيء الوحيد الذي كانت تردده على الدوام في المعسكر، كانت فقط طفلة بعمر الثامنة، تمسك أحد الدمى وتجري بها في الساحة، كم كانت لطيفة حينها عندما سقطت بين الزهور، فتتناثر البتلات في الحديقة، تبتسم حامية، المرأة الجديدة التي لم يمضي على قدومها عدة أيام، فأمد لها يدي لأرفعها، ولكنها فقط صححت جلستها بين الزهور، لقد فهمت أنها تريد مني الجلوس، وهذا ما فعلته.

- إذاً، ماذا كانت تفعل تلك الفارسة في الغابات؟ وما هذا الذي في يدك؟
- لقد كنت أطارد وحشاً قام بتدمير إحدى قرى مملكتي. قررت الخروج للقضاء عليه، وجعله يدفع الثمن، ولكنه هرب أثناء سقوطِ. هل أنت السيدة الجديدة التي أخبروني عنها؟
- (قلتها بنبرة استهزاء) نصل سيفي سيكون تحت أمرك أيتها الملكة، إن رأيتُ ذلك الوحش مرة أخرى، فسأقوم بتسليمه لك!

لقد ضحكنا حينها بشدة، وفي ذات اللحظة كان عقلي مشغول في البحث عن كلمات لأجيب بها سؤالها، السيدة الجديدة؟ ألم يخبروها بعد أنني الملكة الثانية لسيراط؟ أمها

الأخرى، إذاً يستحسن علي صنع ذكرياتي الخاصة معها، عندما ألاطفها، عندما ألعب معها، عندما أدربها، عندما نخرج معاً، فأكون حقاً بمثابة أمها، حينها سأجيب، أنني سأكون بجانبك كأمك التي لم تكن أبداً بجانبك، لقد عشنا أصعب أيام بعد ذلك المشهد، غرقنا بالدماء والحقد، ساد الظلام الشرق والغرب، حتى حوصرنا على المنحدر.

- (؟$_1$) أحد الغربان وجد الهدف! إنها بالقرب من مدخل سيماه.
- (؟$_2$) من المستحيل الذهاب إلى هناك بهذا العدد. علينا استدراجها إلى هنا.
- سأذهب بمفردي، يمكنني الدخول متخفية دون لفت أي أنظار.
- (؟$_1$) أنت قائدة فريقنا، سيكون من الخطر تركك تتعرضين لمثل هذا الحجم من المخاطرة، تقاريرنا تؤكد وجود قوة من فمرسا هنا. دعيني أذهب أنا.
- هل ذكرت التقارير أي شيء عن عصيدة؟ أخبرتني قطينة اليوم أنها قضت على تلك القوة في الأمس، سيكون من الأمان الدخول إلى هناك الآن.

يقطع ذلك الاجتماع صوت التحام الفرسان وصرخات السيوف، أهرع فوراً إلى الخارج لأرى من أحضر هذه الجلبة برفقته، قلقة من هجوم مفاجئ، إلا أنها فتاة صغيرة حمراء الشعر، بأذني قطة وذيل مشتعل، الفتاة التي كنا نبحث عنها بالفعل، وعندما تصادمت عينانا توقف هجومها الجاد، وتعيد مخالبها إلى أماكنهم راكعة طلباً عند قدميّ فجأة.

- عصيدة تحارب ملاك الكهف بمفردها! ستموت حتماً إن لم يخرجها أحد من هناك!

لقد صُدمتُ من كلماتها، تعطل عقلي ولم يستطع استيعاب الموقف، ما الذي تفعله تلك الفتاة؟ هل جنت حقاً؟ خليفتنا على شفا الموت، فما الذي انتظره؟ بدأت الركض حاملة سيفي بكل عجلة تتبعني فلفلة، وعندما توازينا طلبت منها إبلاغ قطينة بالأمر لسرعتها، سنتقابل عند باب الكهف في الشمال، سيكون قتالاً صعباً لذا فليتجهز الجميع جيداً.

وعند وصولهن كان الأمر كله قد انتهى، هذا ما ينذر به الهدوء، وقطع سيفٍ كالرمل عند المدخل، يدخلن بجاهزية تامة ليجدن الكثير من الدماء يغطي الجدران والأرضية،

ومن ثم قطع من درعية مميزة لفتاة بلحمها، فور رؤيتهم لا تحتمل حامية الموقف، تسقط على ركبتيها غير قادرة على إمساك دموعها وصرخاتها، تلوم نفسها على ما حدث، وسيفها الملقى على الأرض، بينما تشعل فلفلة المكان لترى ما الذي يختبأ خلف الظلام، إنها جثة وحيدة لوحش لم يستطع أحد هزيمته أبداً، وقارورة.

- (فلفلة) لا يمكنني تصديق ذلك! إنه على الأرض، ولا جثة لها، لقد استطاعت القضاء على تهديد الشمال بمفردها، والمغادرة حية.
- (قطينة) يا إلهي، هي لا تقل شأناً عن أمها، ستكون حقاً ملكة سيراط الذهبية القادمة، ما رأيك في ذلك يا حامية؟
- لم أكن أصدق خبر انتصارها على ببغاءة وإنقاذها للفرقة الملكية إلا الآن، تلك الفتاة حقاً تملك طاقة عظيمة، إنها عصيدة التي يحلم بها الجميع.
- (قطينة) حسناً، بما أنها ليست هنا، فسأعلمكِ بما وقع من اتفاق بيننا، بهزيمتها الوحش وتأمينها الشمال، فصبرجاه تعود من جديد إليكم يا سيراط.

ما كانت تلك الكلمات؟ صبرجاه تعود من جديد إلينا؟ أسنخوض حرباً جديدة لفرض سيطرتنا على الشمال، سيراط لا يمكنها حالياً إحاطة يدها حول الوسط، إنها تعيش كوابيس من الجنوب، وليالي لا تنتهي من كوفا، بل انتظر قليلاً، ما هذا الذي أفكر فيه؟ هذه هي فرصتي الوحيدة، لدي صبرجاه وفرقتي، وجميع من هنا الذين يقفون ضد سيراط، ولكن ماذا عن ملكة سيراط الجديدة التي ستغير العالم؟ الفتاة التي يكرها الجميع التي بدأت تمشي على المسار الصحيح، التي تقوم بالصواب، القضاء على الوحوش.

- سيراط ليست مستقرة لتنال المزيد من المشاكل، بل لدي اقتراح أفضل من تضييع وقتك في حكم أرض ستحرق، ما رأيك بتشكيل حركة جديدة نسقط بها الملكة المجنونة التي تدمر مدن الوسط؟ سيراط بحاجة إلى إعادة ترتيب داخلي، لذا أنا بحاجة لك لتغيير مجريات هذه العائلة، لندع عصيدة تحكم الحمراء كأمها في السابق. إن لم نفعل ذلك، فلن يتبقى لسيراط ما تحكمه.

***

مرافقة ديلارا، تلك الفتاة ذات المشاعر المنعدمة، يختلف كثيراً عن مرافقة ببغاءة، رغم أن كلاهما يصنف من الوحوش المسالمة في المنطقة، إلا أن وحش القلب لا يهتم لأي شيء، معركة هناك سيتركها، وحوش منتشرة سيتجاوزها، لا يعتبر أي من هذه أموراً تتعلق به، هو يرغب بالحياة فقط ولا يريد أن يهتم بأي شيء آخر، لا مصير، لا فرسان، لا راحة، لهذا لم تنطق بكلمة منذ خروجنا من صبرجاه، صامتة هادئة، تمشي في رحلتها على خط مستقيمة، لا تتجاوب مع أي من مواضيعي السخيفة التي أحاول من خلالها بدء حديث أو نسيان التعب، ولا حتى الحصول على إجابات منها، كلمَ ريام بالتحديد؟ ومن يسعى خلفي؟ لن تثق بك لتخبرك بأي شيء، وفي ذات الوقت لن تتركك لذئاب الليل تلقى مصيرك وحيداً.

عندما بلغنا نصف الطريق قررت فجأة التوقف، بنظرتها القاسية الهادئة فقط جلست على العشب، هكذا علمت ذلك، وأغلقت عينيها، فمنحتني فرصة لرؤية وجهها المتعب عن قرب، هي ليست حقاً بشريرة، ولا تمتلك أفكاراً متطرفة، هي فقط تحاول مساعدتي، ولكن هذا لا يبرر صمتها، يجب عليها فقط منحي تلميحاً حول ما يحدث، ستؤمن بها عندما تعلم بعمرها ومكانتها، لن تشكك بقراراتها واختياراتها، ولكن هذا لا يبرر جرها لي دون تفسير. خلعت درعي وجمعت بعض الحطب، اشعلت ناراً تتوسط الجلسة، واصطدت أرنباً، طهيت الأرنب وتناولته وحيدة رغم إصراري عليها بأن تستيقظ، حتى حل الظلام، لم تبدي أي علامة على أنها ما زالت حية حتى فجأة نطقت:

- أتفضلين حامية أم صقيبة كملكة للحمراء؟
- أخيراً أحدهم تكلم! وما هذا السؤال فجأة؟!

لقد نظرت إلي بتعابير ناعمة مستشرقة، رؤيتها بتلك الحالة فرصة لا تحظى بها كل يوم، ورغم ذلك كنت أطالع الأرض، وأحوم حول المخيم لدقائق، لم أفكر بشيء كهذا من قبل، المنطق يقول حامية، فأنا لم أرى أمي بعد سن الثامنة إلا نادراً، بل وبسبب مشاكلها

خرجت من القلعة، كنت أعاندها على مدار سنوات، أهرب منها ومن كلماتها، وعندما قابلتها بعد ذلك، لم ألقى غير سيف على رقبتي، وعلى الضفة الأخرى حامية التي أمضت معي أيامها، كانت مدربي ومعلمي، حاميتي ومساعدتي، كانت كأم بالنسبة لي أكثر من أمي، من يساندني ومن يرافقني، لا يمكنني أبداً أن أنسى ابتسامتها أينما ذهبت. بل تمهل، هذا سؤال شيطان سخيف إجابته معروفة وبديهية، إذن إلى أين تريد الوصول بمثل هذه الأسئلة المفاجئة؟ عدت لأجلس مقابلها، أمد عليها صحن الطعام البارد خاصتها.

- سيكون عليك الإجابة على هذا السؤال في الغد، هذا كل ما سأطلبه منك. لا يمكن أن تكون عصيدة خارج المعركة العظيمة التي ستقام لأجلها.
- ماذا تقصدين؟ ما هذه المعركة التي تتحدثين عنها؟
- حامية بدعم من كوفا ستقاتل صقيبة في ريام مساء الغد، والمنتصر سيحكم سيراط على ما يبدو. يا لها من طريقة سيئة لحل الخلافات. أنا أرى خلال ظلمة الليل المدينة تتلاشى قبل حلول النور، ستكون معركة شرسة.
- علينا إيقاف هذا فوراً! لا يجب عليهن القتال. يا إلهي! ما الذي أصابهن فجأة. لماذا لم تخبريني بهذا من قبل؟!
- لأنني توقعت ردة الفعل هذه منك، وفي نفس الوقت لا يمكنني إخفاء الأمر لوقت أطول، سيكون عليك المشاركة في أحد صفوف تلك الحرب. أجزم أنه اختيار صعب، لذلك سأكون بجانبك حتى تنتهي تلك الليلة، سواء أكنت تريدين الجلوس للمشاهدة والبكاء، أو القتال والموت مع أحداهن، أو فقط الهرب إلى فليريا دون ترك أثر.

لقد تأخر الوقت حقاً لمحاولة إيقاف معركة كهذه، كل واحدة منهن متمسكة بعقائدها، حامية بكرهها، وأمي بسيفها، يمكنني تأكيد أن حامية تقوم بذلك من أجلي، هي لم ترغب أبداً بحكم الحمراء، ولكن لابد أن العالم المشوه الذي تجولت فيه في السنوات الماضية قد غير رأيها، المعارضة وأمي دمروا الكثير في معاركهم، سأقوم بقتال أمي لو كان القرار بيدي،

ولكن لا يجوز ذلك بتاتاً، ولا حتى قتال حامية، أمي الأخرى، لا أعرف فيما كانت تفكر به حامية لفعل ذلك، إن كانت تقوم به من أجلي كما ترى، إذن ألا تعلم أنني سأرفض موت أمي من أجل عالم فارغ، من أجل شعب لا يأبه إلا بنفسه، من أجل سلام تافه وخير مزيف، حتى وإن قامت بوضع سيفها على رقبتي، فأنا لم أرى غير قبلة أزهرت قلبي مع ابتسامة عندما أسقطتني، وحوارات دارت عن حياتها، هي من علمني أهم درس بالنسبة لي، ألا أستسلم، فكم مرة قد قالتها لي خلال حكاياتها، هي من علمني معنى كوني فرداً من عائلة سيراط، وسيفها الذي منحتني إياه، إنها طيبة القلب، جميلة عظيمة، ولكن الظروف التي عاشتها غيرت مشاعرها، هي تحاول بكامل قوتها أن تجعل الحمراء متماسكة من جديد، هي تحاول بكامل قوتها أن تحمي عائلتها من أعداء الغرب والجنوب.

- يبدو أنك صفنت بالفعل. أعلم أن كلاهما مهم بالنسبة لك، إن كنتُ في موقف كهذا سأفضل الهرب وتجنب المشاركة بالكامل، سأغادر الحمراء وأنسى ما كانت سيراط تعنيه لي، كما فعلتِ عندما خرجتِ من القلعة، وسأعيش سنوات حياتي كما فعلتِ، أتجول في هذا العالم الشاسع، لأنه في نهاية الأمر سيموت الجميع من حولك، وستبقين عصيدة الوحش الوحيد، كالثلج مثلاً. لا تفكرِ بالأمر كثيراً، أنت بالفعل غير مستقرة، لا أريد قتال وحش هائج آخر هذا اليوم، نامِ فحسب، سأحل لك الأمر في الغد.
- ولكن... إن كنت مكاني يا ديلارا، وستقاتلين واحدة منهن، من كنت ستختارين؟ من تحاول إنقاذ العالم، أم...

لقد أسقطت نفسها على العشب، لم تعد تنظر إلي بعدما انزعجت، لذا صمتُ فحسب، فالأمر لا يعني أحد غيري، وفي ذات اللحظة لا يمكنني القيام بشيء لحل المشكلة، أنا فقط علي أن أكون جزءاً منها، هذا هو الخيار الوحيد الذي لدي، وسيكون الآخر الهرب وكأن تلك المشكلة لا تعنيني بتاتاً، حينها سأكذب على نفسي كما كذبت هي، فيلتهم عقلي الجنون تاركاً قلبي يقوم بتأنيبي لسنوات لن تنتهي، كيف حدث كل هذا في يومين!

- لقد حدث أمر مشابه لي في الماضي، وقد اخترت دون إدراك الوقوف بجانب الملك الطاغية، أبي، حاربت آلاف الفرسان الذين كانوا يقاتلون بجانبي في الأمس، مُلِئت ساحة القصر بالجثث، حتى انتصرنا، لم يكن انتصاراً حقاً، فقط كذبة رسمناها بأنفسنا. يا ليتني حينها لم أتدخل، لقد كنا ضعاف، خسرنا ثقة الجميع، ثقتنا بأنفسنا. يمكنني معرفة ما تفكرين به حالياً، والأمر ليس بيدك، ستبكين مثلي في النهاية وأنت تشاهدين الموت ينتشر في كل مكان، هذا هو القدر الذي كتب لنا، كلانا، ولا يوجد فعل صحيح في قضية كهذه، لذا لا ترهقِ نفسك بالتفكير.

وكالعادة لا يمكنك مخالفة رأيها، فكلماتها تختار دوماً المسار اليسير الصحيح، ورغم ذلك لا أظن أنني سوف أنام في أي لحظة الآن، سأطالع النجوم في الأعلى فحسب، هذا جل ما يمكنني فعله لكيلا أفكر في الأمر مجدداً، سأنسى ما تعنيه لي عصيدة، وسأتحرك ملايين الأمتار يساراً، بعيداً نحو أقصى الشرق، إلى أرض لم يعبرها أحد من قبل، فهل يمكنني تخيل شكل ذلك المكان المليء بالوحوش دون وحوش غيري، أو حتى رؤيته؟

إنها بالقرب مني هذه المرة، لقد تغيرت حقاً في الفترة الوجيزة التي افترقنا فيها، أو لربما أنا من تغيرت فحسب، تبتسم فجأة بعدما رأت عيناي ترمشان، وترتفع أذنيها اَلّتين تكشفان دوماً مشاعرها الحقيقة حتى إن لم ترد ذلك، أمد يدي اليمنى إلى السماء فتسقط في ظل نور الشمس المنعكس على وجهي، هل هي حقيقية؟ بعد كل تلك الأيام التي مضت في البحث عنها، هي من تجدني ختاماً، لم أرد أن تكتب قصتي على هذا النحو، ولكنني مسرورة حقاً لأنها موجودة هنا، رغم أنني لا أتذكر حتى اسمها، يا لي من ناكرة.

- لقد توقعت رؤيتك في هذه الأنحاء، فقد افترقنا بالقرب من هنا، إلى الغرب بضعة أميال عند سهول القمح. يا لك من عظيمة أنت، عصيدة بنت سيراط. لقد أخبرتني قطينة أنك كنت تبحثين عني، لقد سررت بسماع ذلك، لقد ظننت أنك تخليت عني عندما لم تجديني، كنت خائفة من العودة بينما كانت

تطاردني أمك في كل مكان، يا ليتني علمت أنني كنت أرافق أميرة سيراط طوال تلك الفترة.

- لقد كنت سأقول ذلك، ولكنك قمت بإسكاتي حينها.
- أوضعتِ اللوم علي فوراً (قالتها مع ضحكة) لا أظن أنني سأقوم بإسكاتك ثانية، إن عشنا حتى المرة الثانية. سمعت آخر الأخبار، أليس كذلك؟
- تقصدين حرب سيراط في ريام؟ لا أعرف ماذا سأفعل حيال ذلك بعد.
- ألن ... تقاتلِ معنا؟ حامية تريد تتويجك ملكة للحمراء، فلك أن تتخيلي كيف يلمع اسمك في الأرجاء بعد ما فعلتيه في رويضة وسيماه، منقذة الممالك عصيدة. صبرجاه بقيادة قطينة، فمرسا بقيادتي، وسيراط بقيادة حامية، ثلاثتنا قد اخترناك ملكة لنا، ستحل مشاكلنا فوراً بهذا الفعل، ستتحد الحمراء من جديد، وما يقف بيننا وبين هذا التوحيد هو أمك.

لقد نهضت لأرى وجه من أتكلم معه، فلا يمكن لإنسان عاقل أن يقول مثل تلك الكلمات، نعم، هي ليست إنساناً حتى، ولا حتى أنا، ورغم ذلك أنا الوحيدة التي لا يمكنها تقرير مصيرها بنفسها، قلبي لا يزال متمسكاً بها وكأنها عالمي الخاص.

- سأقاتل بجانب أمي، فلا يجب على سيراط الحالية أن تسقط بأي طريقة، وستدفع حامية ثمن خيانتها لنا، وسنعيد إحكام قبضتنا على الشمال من جديد، هذا كل ما سيحدث مساء اليوم، يجب أن تقولِ لها أن تستعد جيداً لقتالي، فلن أترك وحشاً يحكم عائلة في الحمراء، نحن الوحوش لسنا أكثر من أدوات ليقاتل بهن، لن أقتل صانعي فقط لأنها تظن أن بإمكاني أن أكون ملكة أفضل ببعض الصدف، هذا كل ما لدي لأقوله. آسفة لتخييب ظنك بي.

لقد صدمت بسماع كلماتي، بل كانت على وشك البكاء، تعرف ذلك من أذنيها ولمعان عينيها، وبينما تخفض رأسها إلى الأرض، تحاول أن ترفع يديها المرتجفتين لأغير رأيي، ولكنها

بعدما وضعتهما على كتفاي تقرر أن تصمت فحسب، ومن ثم تنظر إلي بابتسامة ظهرت وسط البؤس الظاهر لتقول:

- إن كان هذا هو قرارك فلا بأس، أراكِ في المساء إذن. وداعاً أيها الرأس.

لقد عادت محبطة، يائسة، خاوية الأيدي، من بعيد تمشي ببطء وهي تفكر كيف سوف تشرح الأمر لهن، حزينة لأنني قمت برفضها. لا زلتُ لا أدري كيف ستستقبل حامية هذا الخبر، فهي قد بنت موقفها علي، هل ستوقف الهجوم وتعيد الأمور لسابق عهدها؟ ما هذا الذي أفكر فيه، لن تعود الأمور أبداً لسابق عهدها بعد إعلان هذه الحرب، استسلامها يعني تسليم نفسها للإعدام كخائنة، ودعنا لا ننسى شيئاً مهم، سيراط لا تستلم، ستكمل الحرب بي أو بدوني، كم يزعجني التفكير بهذا الأمر.

- (ديلارا) لقد أعجبتني صراحتك حينها، أنا سعيدة لاختيارك قرارك الخاص في النهاية، رغم أنني لم أتصور أن تختاري شيئاً كهذا بعد ما قلته مساء الأمس.
- لقد تخيلت نفسي في جميع الأماكن، لقد رأيت الدماء تسكب آلاف المرات، ولكنني لم أتخيل أبداً أن أقاتلها، لا أدري بعد كيف يمكنني أن أجمع الجراءة الكافية لكي أرفع نصلي نحوها، لن أستسلم أيضاً وأهرب، كل ما يشغل تفكيري الآن هل ستكون سعيدة هذه المرة عندما تراني بجانبها أم لا، ولا أدري حتى كيف يمكنني أن أتحمل ألم أن أراها تسقط أمامي، لأجلي، لأجلنا جميعاً. سأكون حزينة أيضاً على خسارة حامية، ولكنني لن أتمكن من إنقاذها مهما فعلت، فمصيرها بات محتوماً، لذا سأنقذ على الأقل أمي، هذا كل ما يمكنني فعله الآن.
- إذن سيكون عليك تجهيز درع جديد وسيف، ها أنت لديك فرصة أخرى لتثبتي لي كم أنت قوية يا فتاة الرأس. سنرحل، اجمعِ أغراضكِ.

نعم، ولكن الصداع سيقتلني قبل أن أحصل عليهما، أنت من كسرهما لي في الواقع. وجهتنا الآن إلى ريام، وإلى أين غير ريام سنذهب، إلى المنزل المحطم الذي ما زالت مفاتيحه معي، هل تظن أنني سأجد ركام منزلنا لا يزال على أرضيته؟ أظن أنه سيكون قد غرق

في الجحيم بالفعل، وماذا عن منزلنا الآخر الذي يحيطه الأمن والنعيم؟ لقد اشتقت له كثيراً. ما بي؟! هل أنا نادمة الآن على مغادرة المنزل وقتال الوحوش؟! هذا التفكير بدأ يدمر عقلي بالفعل.

هي تدخل البوابة على حصانها الأبيض وخلفها ديلارا، بدرع من المعدن الأسود وبنصل سحري جديد، تبتسم وبكل برود تلتف عندما ترى أمها متجاوزة إياها، لم يرعبها رماح الحراس، بل وجهها المتعب يحكي أبيات شعر قد فهمها الجميع عند نزولها عن حصانها، وعندما تمسك أمها السيف لتوجهه نحوها، تراها راكعة رافعة سيفها المعتاد لها، ورغم تصفيق الحراس إلا أنها ما زالت منزعجة منها، هي لم ترضى عنها أبداً قط ولن تفعل الآن، تلوح بسيفها فيسقط الآخر بعيداً، مما يحزن عصيدة لتقف قائلة:

- ألا تريدين مني القتال إلى جانب عائلتي اليوم؟
- ارحلي! هذا فقط ما سأطلبه منكِ. غادر أنت وذلك الوحش فوراً.
- سأقاتل حامية حتى ولو سأحارب ضدك أيضاً لاحقاً، تعين ذلك؟ أتريدين مني أن أقوم بخدمات أخرى لأكفر فيها عن ذنوبي التي اقترفتها، عن رحيلي المفاجئ، عن السبع مدن التي من المفترض أنها قد احترقت بسببي؟ ما الذي تريدين مني القيام به لأصبح أنا التي ستحارب بجانب عائلتها لمرة واحدة على الأقل؟ لقد كبرت، ألم يجعل فراقنا ترين ذلك بوضوح؟ أدرك أيضاً أني وحش، لهذا أريد القيام بما يمكنني القيام به، القتال، لحماية عائلتي وأحلامي هذه المرة، ألا يمكنني أن أمثل الخير لمرة واحدة على الأقل؟
- يا لها من نكتة، لن تصبحِ أبداً بطل قصتك، العالم من حولك على شفا الانهيار، الجحيم معك أينما ذهبت، ودائماً يكون الفساد بسببك، ومن ثم تأتين برفقة وحش آخر لتصلحي أمراً ستنسفينه كلياً لاحقاً، أذلك خير تقصدين؟ أأصبحت الوحوش تمثل الخير في هذا العصر؟ غادرِ! هذا كل ما يمكنك فعله لإنقاذ هذه المملكة من السقوط.

لم تتغير ملامح وجهها البتة، فقط غادرت إطار المشهد، خطت ببطء نحو سيفها الذي على الأرض، تعيد تعليقه بالغمد الذي على جانبها. لم تتحرك أمها أيضاً، الفرسان ينظرون ما سيحدث لاحقاً، تركب حصانها من جديد، وقبل أن تبتعد عن أمها تقول:

- بهذا أنت لا تريدين مني أن أحكم سيراط من بعدك؟
- نعم. لا يمكن للوحوش أن تحكم بشراً.
- إذن عصيدة لا تنتمي لسيراط من الآن وصاعداً، وكفارسة حرة، أنا أختار القتال إلى جانب مملكة الحمراء الحالية، إلى جانب ملكتها الفارسة قصيبة، وبهذا أحمي مملكتي وشرفي وأمثل لقسمي كفارس. لربما أبدو سخيفة مقارنة بك عندما أقول كلمات متناقضة كهذه، ولكنني أعدك أني سأصبح يوماً بطل قصتي.

تغادر من فورها بعد كلمات نبعت من قاع قلبها، هي مرهقة بالفعل، ولكن ما زال لديها الطاقة الكافية لتصر على القتال بجانبها، لم تكن تتوقع إجابة أقل من تلك ممن حاول قتلها قبل أيام، ولكنها أثبتت ولاءها الذي لا ينكسر، الوقوف بجانبها حتى لو رفضت ذلك، فهي ولدت وحشاً لتلك العائلة لتحميها، وها هي اللحظة الأسمى لتقوم بما صنعت لأجله.

توجهنا إلى خارج ريام، فقد حان الوقت لأنسى ألم جسدي الذي ينتشر، وأشعل النار التي ستترك لنا وهجاً ينير لنا درب طريق المعركة، وبعض الأحلام والتماني، لربما تكون أخر نار نشعلها في هذا المكان، بل لربما تكون أخر نار نشعلها على الإطلاق، فما يأتي بعدها ما هو إلا عذاب سأتذكره كلما مررت من هنا ورأيت نوراً ينعكس على جدار قلعتهم التي سقطت، سألقي بمفتاحها وسطها أيضاً فأبعده عن صدري، فيخف الحمل الذي تعتليه الفتاة كما قصر اسمها، وكلما أشعلتُ ناراً، فتخلد كالذكرى المأساوية التي ستقوم بصفعي كلما قلت أنني يوماً قد حاربت لأجلها، ومن هي، هذا ما أريد لعقلي فعله، أن يقوم بسؤالي يوماً، من هي، من كانت، وما الذي تعنيه لي أكثر من كونها أمي.

تتحرك الشمس وتغرب ويبرز القمر، وكل ما قمنا بفعله حتى تلك اللحظة هو مطالعة الفرسان، التي تحمل قلوبهم مشاعر الضعف والانسحاب، تصطف، كانت مغلقة عينيها

تشعر فقط بما يحدث، ليست مثلي متوترة على وشك أن يأكلها القلق، وعندما تظهر أعلام الجيش المقابل، الرايات التي أبرزتها النيران، تفتح عينيها بابتسامة لتقول:

- هل أنت جاهزة للقتال؟ فخطك الفوضوية المبنية على الحظ لن تجدي نفعاً، لا يبدو أن أحد الفريقين قد يتراجع.
- إن سقطتُ هناك، هل يمكنك أن تعديني بأن تحمي أمي حتى انتهاء المعركة؟
- سأغادر هذا المكان لقتاله فور ذهابك، فلست أكثر من دليل لك حالياً، وبما أنك قد اخترت قرارك، فلا مكان لي هنا، أحداث عالمكم هذه لا تعنيني البتة. وسأكون صريحة، لا يمكن لأحد إسقاطك، فأنت تملكين الآن الرأس واللهب والجناح والقلب، لذا كل ما سأفعله هو انتظار عودتك من هناك.

ترفع سيفها الملقى وسط العشب، تضعه في غمده بينما تشد روابط درعها، وتنظر إليها بابتسامة معذبة، فتضع ديلارا يديها على كتفيها، وخلال نظراتها اللامبالية يشرق امتنانها، ترتّب بضع شعيرات كن قد خرجن عن الباقيين، ومن ثم تربت على رأسها بحنان، وتقول:

- يا ليتني اتخذت قراراً كخاصتك حينها، أنا حقاً فخورة بك يا عصيدة.

وبعد عناق استمر لعدة دقائق، تمتطي خيلها وتقوده وسط الظلام، إنها اللحظة التي تسبق الأمطار، الدروع تصف ينصفها الرماح، والآخر يجهز خيوله ليبدأ شن الهجوم، يتقدم ذو البوق ليقرأ دعواته الأخيرة، ولكن مع استقامته وسط ساحة ريام تغلق بوقه تلك الوحش بخيلها، وتلتف حوله حتى يهدأ الأبيض، ومن ثم ترفع سيفها الذي سقط حوله بضع سهام، وقوفها هناك بإصرار منحها هالة مميزة لتجذب بصر الجميع، تقول حينها:

- هل أنتن جادات؟ تقاتلن بعضكم البعض فقط من أجل أوهام سخيفة، فاللعنة على ذلك العالم الذين تحاولين بناءه، وعلى الحاضر الذي تحاولين الحفاظ عليه. لا أهتم بأي شخص غيركن، ولا أريد العيش في عالم لا تكون فيه أحد منكن، وقتالكم من أجل أوهامكن تلك لن يكون أبداً الحل لمشكلتنا، ألا ترين العالم من

حولكن؟ ألا يكفيكن ذلك الرماد الذي لا تنسى مشهده عيناك أينما ذهبت؟ أليست الأرض حمراء كفاية لتدركن الدماء التي قد تجرعتها؟! أنا أعني، بدلاً من قتال بعضنا البعض، ألم نكن قادرات على التوحد جميعنا لهزيمة ملاك الكهف، لهزيمة خيال ببغاءة، لطرد أعداء الحمراء من فليريا كوفا، لإسقاط حكم لوردمان القديم المشابه لسيراط الجديد، لحماية الشرق من الخطر الجديد الذي يحدق بنا. ديلارا جاءت إلي تحمل لنا الأخبار، هي ليست أخباراً سارة ولكنها جاءت في الوقت المناسب، حان الوقت لنضع نزاعاتنا جانباً ونركز على توحيد الحمراء نحو مسار جديد، حماية مملكتنا، الحمراء، وليس عائلة باسمها، من الشيطان الأعظم في أقصى الشرق، إن لم نفعل ذلك، فسنسقط جميعنا قبل أن نصنع العالم المثالي الذي نحلم به. قصيبة، سيدة سيراط الجنوب، قطينة، سيدة صبرجاه، فلفلة، سيدة قمرسا، ونهاية حامية، سيدة سيراط الشمال، أجميعكن توافقن على الاتحاد من أجل قتال عدو واحد وحيد في الشرق؟

وفي مشهد الختام، لقد كنت أبدو أطول ببضع سنتيمترات، شعري قد أصبح يتخطى ظهري، بردائي قد عدت، بعد رحلة طويلة للوصول إلى أقصى الشرق، ملايين الأمتار التي قد خطوتها بمفردي، فأرى عند عودتي الجثث السعيدة التي ضحت بنفسها، التي لم تحارب إخوانها تلك المرة، بل حاربوا الوحوش مصرين على إنقاذ عالمهم. لقد مضت سنوات طويلة لم أرى فيها أرض المملكة الهادئة، فتدخلها عصيدة بسيفها السحري لأول مرة منذ سنوات، لقد نسيت كيف تبدو لي تلك القرية التي لاحقت فيها الوحش حارقة منازلها وحقولها، ولكنني ما زلت أتذكر ملامح فلفة اللامعة عينيها عندما قمت بهزيمته، لقد نسيت كيف تبدو لي تلك القلعة التي حملت مفاتيحها لزمن، ولكنني ما زلت أتذكر ملامح أمي المبتهجة الفخورة التي جلست بجانبي حينما قتلت وحش الخنزير، لقد نسيت كيف يبدو لي سهل الزهور الأخضر، ولكنني ما زلت أتذكر ملامح حامية المراعية الحنونة عندما قامت بحضني وسط الدموع، لقد نسيت كيف تبدو لي صحراء صبرجاه، ولكنني ما زلت أتذكر ملامح قطينة السعيدة الطائرة عندما وافقتُ على عرضها، لقد نسيت كيف

يبدو لي لهب النار التي اشعلناها نهاية بالقرب من ريام، ولكنني ما زلت أتذكر ملامح ديلارا اللامبالية عندما قامت بالتربيت على رأسي، أريد أن أتذكر كيف بدت لي كل تلك الأماكن قبل القتال الختامي، ولكنني خسرت الفرصة بالفعل، لقد تركتهن يصارعن ذلك المصير بمفردهن حتى لم يتبقى هنا غير هذه الفتاة، فأكون الوحش الذي سيعيش في المكان المليء بالوحوش دون وحوش غيري، هل يمكنني الآن أن أصبح بطل قصتي؟

الفصل التاسع: نمسك أيدي بعضنا بينما نهرب بعيداً عن المنزل

(1) لا تصدق الفراشات

سيعجبك المكان فور دخوله، بوحدته وظلمته، ستخطو فيه غير مدركاً للمصير المؤلم الذي يرافق العتمة، فالسواد هادئ ومطمئن، تحديداً عندما يحمله سيوف الشجعان، ولكن اترك الدرع والسيف وشغف القتال قبل العبور، وامشي عاري القلب باهت العقل فيه، سترى النور حينها، الموت الذي لا يمكن لأحد تذوقه إلا أنت.

عد خطوتين قبل أن تصدمك أنصال المناجل، وأمعن النظر إليها من بعيد وهي تقفز من واحد إلى آخر، إنها الفتاة الأعلى رتبة والأقل مشاركة في المهام، صاحبة الرمز الشهير "آر واي ثمانية وسبعون"، والتي بحركتها تلك ستقضي على جميع عناصر العدو، وستقف ساكنة مستقيمة وسط الجثث المتساقطة حتى يثبت شعرها، ومن ثم كالعادة ستنظر إليك بتعالٍ بينما تقول عبارتها المترددة مع صدى الكهف المعتم:

- لا أثر لمزيد من الملائكة السود، لقد تم تطهير هذا الجزء. استرحن قليلاً، سنتقدم بعد بضع دقائق إلى مناطق أعمق في الخلية.

لا تتحدث معها إن كنت لا تريد العودة خائباً، فهي تتبع قاعدة بسيطة في حياتها، ستنفذ ما يطلب منها، لوحدها إن استطاعت، وستعود، لن تهتم بأخذ صورة عند شمعة أو تلاوة كلمات، ستركع عند سيفها، وستمضي في طريقها، دون عبارات زائدة، لن تطلب منك ذراعاً، ولن تجبرك على الاستمرار في الحياة، وكأنها لا ترغب بمرافقة أحد، وكأنها لا تطيق أياً منا نحن أفراد ملائكة الحياة، وكأننا لا نلعب دوراً في حياتنا السخيفة.

تشعل سيجارة كانت بحوزتها أثناء تلك الاستراحة، وتغلق عينيها، ما زاد وجهها جمالاً، وعندما يخرج الدخان من فمها تضع يدها أسفل خدها مرتكزة على إحدى الصخور المتناثرة، إنها متعبة، هذا أول ما سيتوصل إليه عقلك عندما تراها، وقلبها مرهق، إنها تحاول أن تهرب من واقعها إلى خيال أسود، فتغلق عينيها، هكذا ترتاح. لقد جلست إلى

جانبها بهدوء، أعلم أنني سأضيع وقتي بمحاولة إخراج أي كلمات من رأسها، ولكنني أردت أن أريحها قليلاً بمحادثة سريعة تخفي ألم ليالينا:

- الهجوم الأخير كان شاقاً، أليس كذلك؟ بدوتِ رائعة عندما قاتلتيهن بمفردك، ولكن ليس من الخطأ أن تتركِ لنا البعض لمساعدتك، فنحن فريق في النهاية.

بالطبع رميت الكلمات ونظرت بعيداً، فلا أمل في التحدث إلى صخرة عنيدة، أتركها تقوم بما تريد، أتركها في عالم الخيال خاصتها، ولكنها مفاجأةً نظرت إلي، تقول بصوتها العميق:

- الأعداد التي تهاجم ليست بعادية، وإصرارهم على إيقافنا، بدأت أخشى أننا قد وجدنا الخلية الرئيسية. إن كانت الملكة هنا، لوحدنا، سنهلك جميعاً.
- بالفعل، الكهف يمتد عميقاً في الأرض، قد يكون على الأقل أحد المراكز.
- إن حصل ذلك حقاً، هل يمكنكم تركِ لمواجهتها والمغادرة بأنفسكم؟

التضحية بها للهرب، هذا ما كانت تقصده، وسأكون صريحة، إن حدث ذلك، فهذا ما سوف نفعله بالضبط، فكما هي لا تأبه بحيواتنا وحياتنا، فلا أحد منا يأبه لأمرها، ولكنني سأقول العكس، أننا سنقف إلى جانبك، بسيوفنا ورماحنا وسهامنا، جميعهم سيكونون يداً أخرى لك، تساندك على عدوك، إن كان ليل هذا الكهف يحيطك، فنحن سنكون النجوم التي سترشدك وتهدي قلبك، يا لنا من فراشات لا يعرفن مصارحتها بالحقيقة.

تحركنا، خلف ظلها ودماء سيفها، على آثار كتاب مهترئ، نرسم بخطواتنا الخائفة نقشاً يمتد من بوابة الحب إلى الكره شرقاً، رسوماً على الحائط من حولنا، وصناديق مغلقة وذهب، بالنور نسترشد وبإيماننا بها، سنرحب بمن يهدينا رأسه، بل سترحب هي تحديداً، حذرين من فخاخ الأرض ونيرانها، هذه هي حياتنا في النهاية. وهي، تمشي بهدوء أمام الصف، سيفها الطويل المنخفض على الأرض يصدر صوتاً مزعجاً طوال الطريق، وخطاً نتبعه عند العودة لخروجنا، عيناها لا توقف النظر إلى كل تفصيل دقيق في المكان، هي خائفة أكثر من أي واحدة منا، ورغم ذلك لم تأبه، تكمل المشي فحسب.

تلتحم السيوف حيناً وتغمد آخر، دخلنا عميقاً في ذلك الدهليز حتى اختفى الضوء تماماً وظننا أننا لن نعود، أجواء إحباط وانزعاج، لم تكن على المهمة أن تسير على هذا النحو، هذا ما جعلنا مشتتين جميعاً. دخلنا غرفة بحثاً عن طريق نختصر به الرحلة حتى هدمت الأرض من تحتنا، إنه الفخ الذي يقع فيه أبطال القصة كل مرة رغم حذرهم، وما أن فتحنا أعيننا حتى وجدنا السود يناظرون من كل شق، بخناجرهم ومناجلهم يتزينون، وبينما كنا ننظر من قائدتنا النهوض، كنا قد هلكنا جميعاً، حملنا السيوف بأيدينا وقاتلنا لأول مرة، بعقل باهت وقلب عار، لعلنا نتذوق الآن طعم الموت الذي لا يناله إلا أنت، حينها تخرج ذراعها من بين الصخور، بجروح ودماء تظهر وبيد لا تتحرك، بأنفاس متسارعة لا تجد غازاً في عمق الأرض إلا الغبار، فترفع سيفها عن الأرض بظهر مقوس من وزنه، كالوحش كانت، وفي لحظة انقضت عليهم، وكأنهم خراف بين أنيابها تقتل الأول فالثاني فالعشرات، لقد تراجعنا جميعاً تاركينها تصارع مصيرها.

وفي مشهد الختام، تنادي إحدانا أنها قد وجدت مخرجاً من تلك الساحة، فتهرع جميع الأقدام والأقدار نحوه، وبينما أنظر من بعيد إليها قبل الخروج، يائسة تحارب، على مقربة من أن تلفظ كلماتها الأخيرة، فأنادي عليها بأعلى صوتي، ما جعل الأخريات ينظرن إلي باستغراب، لم تسمع نداءي ولكنها رأتهن يفجرن الباب، فتهدأ أقدامها شيئاً فشيئاً حتى تتوقف بابتسامة، رغبة قبل ضياعها أن أطلب السماح منها، ولكنه كان ذنبها أن تصدق الفراشات، لا تتوقع ممن يكره وجودك إمساك يدك عندما تسقط، لذا وداعاً أيتها الملاك.

أبواب عدة، وأدراج عدة، ومراحل مختلفة، نمر بهم خلال أيام صعبة وبعيدة كل البعد عن المنطق، ومهما تخطيت من تلك الأيام، بذكائك وحنكتك، لن تتغير حقيقة كيانك بأنك لست أكثر من طفل، هذه هي هيئتك الظاهرة للعالم، مستواك الحالي. لست حزيناً بسبب ذلك، ولكن الأمر يجعلك تترك أدواتك جانباً فاقداً للشغف على طول الخط، فتسأل نفسك سؤالاً سخيفاً محبطاً: ألا يجدر بي اللعب كباقي الأطفال في الحديقة؟ هل كوني مميزاً بشيء ما يجعل مني كياناً غير مرغوب؟ هل اختلاف اهتماماتنا حقاً ترمي بي خارج الجدول؟ سأضع جهاز اللحام الآن جانباً لكيلا أحرق المخزن من جديد، وبينما يبرد، سأقوم بترتيب الأدوات على الأرفف كما كانت، وأغلف جهاز صديقي المعطل الذي بات يعمل الآن، رؤيته على هذه الحالة تجعلك تبتسم، وكأنك قد قمت بعمل عظيم من مرحلة أعلى بكثير من دروس اليابانية والرياضيات التي نرتاد إليها، بل وسماع مدحه لاحقاً وكأنك المنقذ العظيم، كلاهما يحرك قلبك من جديد لتستمر، حتى ولو وقف العالم بأكمله ضدك، فعقلي قد نما بالفعل، أنا لست طفلاً بعد الآن.

بعد بضع دقائق، كنت قد انتهيت من الترتيب، سأكمل تسجيل الملاحظات قبل أن أخرج من غرفة أحلامي، المرحلة الأهم بعد كل تفكيك وتركيب، أحدهم يفتح علي الباب فجأة، لقد ظننت أنني قد أغلقته عند دخولي، فأرى الظلام الحالك في الأرجاء، لم أشعر بمضي الوقت بينما كنت ألعب بالكاوي والمبراغ، إنها أمي، تبتسم عندما تراني ممسكاً للقلم أرسم مخططات جديدة، هي ذاتها التي سأضع يدي عليها فور رؤية نظراتها محمراً، وأنظر إلى الجانب الآخر متسائلاً عما تريده.

- صديقتك تتصل، لقد قالت بأن هناك أمراً مهماً ترغب بالحديث معك بخصوصه.

ماذا تريد مني الآن؟ تنهيدة بينما أغلق الدفتر وأحمل المفتاح عن الطاولة مغادراً.

- بالمناسبة هل درست لامتحان الغد؟ لم أراك تغادر الغرفة اليوم.

حقيقة، لقد نسيت أمره، ليس وكأنه ذات أهمية على أية حال بالنسبة إلي، لابد أنني سأنجح فيه دون أن أفتح الكتاب حتى، وبالطبع سأكذب عليها ككل مرة، قد أمضيت اليوم بأكمله أدرس له، لم يغمض لي جفن بعيداً عن الكتاب.

- أعرف أنك تبذل قصار جهدك للقيام بمشروعك المدرسي، ولكن عليك التركيز أكثر على دراستك وامتحاناتك المقبلة، ما زالت أمامك سنوات طويلة في الثانوية ستشرق فيها بنور موهبتك، أما الآن، أترك جبل القطع المتناثرة التي في المخزن، وركز على مدرستك أكثر.

وكأنها تقول الدراسة الآن لصالحك، وأبذل فيها أقصى جهدك، ومن ثم تتحول لاحقاً إلى أترك ما لا تجيده، كأنني ما زلت طفلاً، حتى ينتهي بي المطاف بفقدان البصر عن نفسي. آمل أن ينجح مشروعي القادم، رغم كامل معرفتي بالتصميم، إلا أن هناك أشياء بداخله لا يمكنني القيام بها على نحو صحيح مهما حاولت، ما زلت بحاجة للتفكير بطريقة لتخطي تلك العقبات عاجلاً، فالنادي التكنولوجي بأكمله يعتمد علي لإبهار زوار المعرض يوم المهرجان. وماذا عن صيانة جهاز العرض الخاص بالفصل؟ سأقوم بذلك بعد أن أهرب من حصة الرياضيات، جدولي أصبح ممتلئاً بالنشاطات، والآن أتصال منها، ماذا ستضع لي يا ترى على القائمة.

- (تشويش) سامحيني، تأخرت عليك، لقد كنت أعمل في المخزن. لم أراك منذ مدة، هل هناك أي تحديثات؟
- كازوكي! أنت المختفي منذ فترة، لم أرد أن أخبر أمك بهذا ولكن عليك أن تحضر إلى المدرسة في الغد من أجل الامتحان.
- بالطبع سآتي، لدي جهاز علي تسليمه، وأمور أخرى.
- ألا يمكنك الحضور للحصص فقط ليوم واحد؟ معلمة الفصل قد شكت إلي عدم حضورك، ربما يصل الأمر لاستدعاء. أعلم كم تعني تلك الحياة لك، ولكن لا تنسى، المدرسة مهمة أيضاً! هل يمكنك أن تعدني بأنك ستحضر في الغد؟

قطع الاتصال لحسن الحظ، كانت هناك كلمات ستجرحها على طرف لساني، ولكنها على حق، كما أن حياة المعمل مهمة لي، فهي مهمة لي أيضاً، لذا سأفعل ما تريده، يبدو أن أمامي يوماً مملاً آخر أقضيه في الجانب المظلم من الشمس، أما الآن، فسأذهب للنوم، عقلي على وشك الانفجار من تحديثات اليوم.

حضور برمي الحقيبة، يظهر من العدم فرقة من الفتيان سروا فور حضوري، يجتمعون كالحشد، أفتح الصندوق في الصف وسط الحضور، لقد ابتسم الفتى لي حقاً كما توقعت بعودة جهازه، حلق مع ثلاث تصفيقات، سحبه فوراً، وبدأ يلعب به إلى جانب أصدقائه.

- لم يكن بالأمر الصعب، تغيير بعض المنظمات وـــ (انفجار)

لقد امتلأ الصف بالدخان في لحظة، وعندما بدأ الهواء يعبر من النوافذ المفتوحة وسط عطسات الزملاء، وتراكم الرماد على الأرضية والطاولات، ظهر الجهاز المشتعل على الأرض، أسود كالفحم، فأبدأ بضربه بقدميّ لعلي أخمد النيران، وسط أنفاس سريعة مندهشة، وعندما ينتهي الموقف أبدأ بالضحك، فأحصل أجري من هذه التجربة، لكمة مباشرة في الوجه جعلتني أسقط أرضاً، يجلس علي ويمسك أعلى قميصي، نظرات الغضب كانت بارزة بقوة على وجهه، وقبل أن يمنحني لكماته التالية، أهرع بقولي:

- صدقني! لقد كان يعمل عندما جمعته في المختبر، لابد أن هناك ضرر ما حصل بينما كنت أنقله إلى هنا.
- وماذا استفدت؟! إنه الآن قطعة بلاستيك متفحمة على الأرض بلا قيمة! ستسدد لي ثمنه يا نيرد التقنية.

لقد نظرت إليه ببرود تام حتى حضرتْ، لقد كانت برفقة المعلمة أيضاً ما زاد الأمر مصيبة، الرائحة انتشرت بشدة في المكان، والسواد المتراكم، لن تمضي هذه المسألة على خير أبداً، يا لحظي التعيس.

- أكان ذلك الانفجار بسببك يا كازوكي؟

- (؟) نعم، لقد دمر جهاز هيرو بالكامل.
- (؟)كان عليه تجربته في مكان آخر غير الفصل! كيف سأنظف كل هذا الرماد عن شعري الآن!!
- (؟) يا له من فاشل! إن كان لا يعرف التعامل معه، فلِمَ أخذه من المقام الأول.
- توقفوا جميعكم! كازوكي، سألقاك بعد قليل في غرفة المعلمين، هيرو، أترك كازوكي فوراً، الباقي، ألزموا مقاعدكم حتى عودتي.

لقد هربت من المدرسة بكل غباء، كنت سأفضل مغادرة الحياة بأكملها في تلك اللحظة، ما الخطأ الذي اقترفته ليشتعل الجهاز؟ هل وضعت مكثفات ذات قيم مختلفة؟ كان علي التقاط الجهاز أثناء مغادرتي. ما هذا الذي أفكر فيه الآن! ماذا سأفعل بشأن الامتحان، بشأن المعلمة، بشأنها! يا له من خطأ عظيم قد اقترفته، نسيت إعادة برمجة المتحكم بالمنظمات الجديد، كنت سأقوم بذلك فور الانتهاء من رسم المخطط، نسيت ذلك بالكامل، لهذا قد انفجر، لقد تعامل مع المنظمات الجديدة بقيم المنظمات القديمة، كانت هذه غلطة أمي على مقاطعتي، نعم! كل اللوم يقع عليها الآن بما حصل اليوم. وكيف سنمضي ساعات هذا اليوم؟ هذا هو السؤال الذي علي طرحه لأشجار الطريق، ولطيور المنازل وزهور الشبابيك، عين تغلق وأخرى على امرأة غريبة، إلى أين تتجه حاملة ذلك السيف؟ لم أسمع عن معارض في هذا الأسبوع.

بعض العملات المتبقية في جيبي وضعتها فوق جسم الهاتف المعدني، إنها تكفي لدقيقتين باحتساب الغداء، ولسبعون كلمة غير مفهومة، أكتب رقم منزلها، هي بالطبع هناك تدرس للاختبار القادم، أرفع السماعة مع صوت الرنين الموتر.

"منزل ـــــ يتحدث، من المتصل؟" - "كازوكي، هل يمكنك مقابلتي عند مقهانا؟"

نعم هذا يكفي، لا حاجة للمزيد من الكلمات.

لربما كان علي اختيار مكان آخر.

لقد وقفت هناك فوصلني ظلها، بتأشيرة من بعيد قد رأتني، بحقيبة في يدها، وبسترة كنت قد منحتها إياها، هل تظن أن هذا موعد؟ سأبتسم إذن عندما أمسك يدها.
أغلقت عيناي لأمشي وكأن الظلام قد حل، ليكون نور قلبها هو المرشد الوحيد لي في الرحلة القادمة، أستوافق؟ يا لي من مجنون لطلب شيء كهذا منها.

- تبدين جميلة اليوم. أعتذر على هذا القرار المفاجئ، ولكنني سأرحل بعيداً.

ينقلب بصرها إلى الأرض، ويبرز وجهها العابس في لحظة قبل أن تقهره فرحة وبسمة، لتعاود النظر إلي بضحكة بارزة، وتقول:

- أيمكنني مرافقتك؟

لقد كان من المفترض أن يكون أنا من يسأل هذا السؤال، ولكن، خلال السنوات التي قضيتها معها، علمت أنها ستفضل عيش تجربة كهذا، تحليل بسيط لقضية سريعة.

- لن يكون هناك عودة، ألن تكونِ نادمة على هذا؟
- أنت تعرف هذا جيداً، بالنسبة لهم، أنا وحش نكراء بلا فائدة، حتى وإن قضيت سنوات حياتي في الدراسة كما أفعل الآن، فلن تتغير وجهة نظرهم عني أبداً، أفضل البقاء معك، ممسكة بيدك، بينما نهرب بعيداً عن المنزل، بعيداً جداً، ألن يكون هذا رومنسياً؟!

نمسك أيدي بعضنا بينما نهرب بعيداً عن المنزل، يا له من عرض كوميدي ساخر، لأطفال يحاولون الهرب بعيداً عن المنزل دون مسؤولية، ظانين أنهم بذلك قادرين على تغيير مصيرهم في عالم لا يعيش فيه غير أصحاب السيوف، لن نصمد فيها غير ليلة أو اثنتين.

- أحياناً أكره نفسي التي لا تستطيع ترك الآخرين، الجميع قد سخر مني عندما أخبرتهم أني أريد الرحيل، لذا أظن أنه الوقت المناسب لأقول وداعاً لهذه البلدة. شكراً على مبادرتك في هذا الأمر.

- إذن! لا رجوع بعد هذه النقطة! حان الوقت لنري الجميع بداية أفضل عرض. لنرفع الستائر، وليبدأ مشهد الافتتاح.

انتهت المحادثة فجلسنا على الرصيف، لقد بدت متحمسة للغاية، وكأن الأمر يروق لها أكثر مما تخيلت، وكأنني أحقق لها أمنية، أهذا هو الحلم الذي كانت تخبرني عنه دوماً؟ أخرجتْ علبة من حقيبتها، وحدقت بي بابتسامة بينما تقوم بفتحها وترتيب محتوياتها.

- كان من المفترض أن أسألك، عندما أحضر، عما ستفعل بشأن امتحان اليوم الذي قد غبت عنه، ولكن الأمور اتضحت لي الآن، أنك تخطط لمستقبل كلانا، ألا يمكننا الزواج في عمر كهذا~~! اعذرني، عقلي لا يزال يحاول استيعاب صدمة قرارك المفاجئ. بالمناسبة، لقد حضرت وجبة خفيفة لنا قبل مجيئي، مررت بالمقهى أيضاً وأخبرني والدك أنك لم تعد للبيت بعد. لا تأكل بإفراط، تنتظرنا الكثير من الليالي الباردة لنعيش خلالها بهذا الطعام.
- ألم تكون تدرسِ لامتحان الغد عندما اتصلت بكِ؟
- كنت أدرس وأنا أقوم بتحضير الطعام، يمكن لعقلي القيام بأمرين في آن واحد.
- هذا أقل ما أتوقعه من زوجتي المستقبلية. إنه لذيذ أيضاً، تحسنتِ في الطبخ.

لم تأكل أي شيء، فقط طالعت بي بينم آكل قضمة من هنا ومن هناك، وعندما فرغ فمي أعادت ترتيب العلب في المحفظة وأعادتهم إلى الحقيبة، تقف مؤشرة إلى موقف القطارات بابتسامة، ليس معي الكثير من النقود لفعل ما تريد القيام به، ولكنني متأكد، بحالتها تلك، قد خططت بالفعل للقيام بالعديد من الأفعال المجنونة منذ زمن طويل.

أمسكت يدي وبدأنا الرقص وسط ظلام الليل، كانت الشمس قد غربت عند دخولنا المحطة، فأتناول زهرة من هناك ولحن مما يملأ المكان، حضنت يدي وبدأت تحركني إلى الداخل، اشترتْ التذاكر، إلى أبعد نقطة يمكننا الوصول إليها عبر القطار، وجلسنا هناك ننتظر بسعادة أن نغادر البلدة التي كانت تلقب بالمنزل في السابق. سنعود بعد أيام، لا شك في ذلك، فلكل عرض نهاية، وكأطفال، لا يمكننا الاستقلال في هذا السن أبداً،

ولكنني أردت منها أن تبتسم حتى نهاية ذلك الحلم، لم أرد أن أفسد هذا الجو بحقيقة هي تحاول أن تخفيها عن قلبها، فتعود، وهذه الأيام ذكرى لا تمحى من تاريخها، كالأزهار التي اشتريتها بكل ما تبقى معي، كطعام الرصيف البارد سيء الطعم، كالمحادثة التي حققت لها أمنية، كخطوات قد عرقلتنا في دخول القطار، كمشهد البحر الذي يبتعد بسرعة وكأننا لم نكن بجانبه قبل قليل، كقبلة منحتها إياها على رأسها البارد، وهي تمثل نومها، على كتفي منتصف الليل. إنها المحطة الأخيرة، لوحدنا، وفتاة السيف، لم ما زالت هنا؟

- ما الذي تخطط لفعله في أيامنا القادمة؟
- ... أيامنا القادمة؟

هي تنظر إلينا، تتحرك نحونا، بسيفها اللامع.

لا يمنع القانون سفر طفلين عبر القطار، لماذا إذن تقترب؟

- ... هناك أرض تثلج في أقصى الشرق، تتفتح فيها الزهور على مدار العام، وتشرق فيها الشمس بهدوء لتخبر البشر بأن النهاية قد حانت، تجتمع القلوب هناك وتفترق بعد خطوة من باب المحطة، فهي تمطر نجوماً، وتبعث سكوناً لجميع البشر. عندما نصل إليها سأيقظك من سباتك، فلا تفكرِ في المستقبل.

جلست بجانبي فجأة واضعة سيفها بالقرب مني، ورغم ذلك لم أشعر بأنها قد جلست، وكأنها بلا قيمة فيزيائية حقيقة، ومشاعرها معدومة كلياً، وكأنها لا تُرى من قبل أحد غيري، أغلقت عينيها عند جلوسها، وبعدما استمعت لكلماتي تقول:

- أرض في أقصى الشرق، أرض تغسل ذنوب الآثمين، وتتوج أعظم مخلوقات هذا الكون، فتجتمع دماء الضحايا هناك وتفترق بعد خطوة حيواتهم وأقدارهم، تبعث رعباً للقلوب، وطمأنينة بالفساد العظيم، هذا ما اتخيله عندما يقولون لي السماء. أين سمعت بقصة ذلك المكان؟ وكيف يناسب تلك الأرض وصفك؟!

- أمن المفترض أن أسمع عنه من مخلوق آخر مثلك؟ لقد كان في رواية ما، ولكنني لم أتخيل حقيقة كيف يبدو، لربما أنا أكسل من أن أقوم بذلك.

تفتح عينيها من جديد، وتمد يدها من فوقي نحو الأخرى النائمة على جنبي الآخر.

- من المؤسف أن تفقد حياتها، أم لربما هي محظوظة لذلك؟ إنها جميلة حقاً، كنت ستصنع معها الكثير من الذكريات المؤسفة في الغد، ولكن الآن، سنغادر هذا القطار قبل أن تصيبك أنت أيضاً لعنتهم، هل أنت جاهز؟

وفي مشهد الختام، تمسك فجأة يدي فتشدني للأمام مع وقوفها، وبينما أسقط على ظهري أرى مناجلهم التي تقص القطار، فيتحول إلى قطع حمراء تطاير بعيداً، ونحن أيضاً، تتركني أقع في الفراغ، وبسيفها تهاجم هؤلاء الشياطين التي تسقط برفقتنا، لقد كانت سريعة وقوية، لم يلزمها إلا بضع ضربات في الهواء بينما تقفز وتندفع من واحدة إلى أخرى. انبهار وسط موت يرافقني، وبكاء على من عشت برفقتها أيامي، وعلى الرغم من ذلك، الخيال الذي صنع في تلك اللحظة من أجلي جعلني بالفعل أنسى ما كانت تعنيه لي حياتي القديمة، فأفكر في مسار جديد لبداية قد ظهرت أمامي فجأة، حياة مثيرة أكثر. أظن أن هذه هي نهاية عرضنا، لنغلق الستار، ولنترك أيدي بعضنا بينما نسقط عميقاً نحو الخراب.

(3) بالقهوة وحيدة

لا تتنازل عن حقك في العيش مهما كانت الظروف من حولك، فحياتك ثمينة، مهما كانت بائسة يائسة، جوهرة لا مثيل لها في كامل الكون، ربما ليست حياتك هي الثمينة بقدر القصة التي ستعيشها في هذا العالم، فهناك الكثير يعيشون، بلا قصة وبلا حياة، عيشة تمر كالرياح العاصفة، تلحن مع مرورها كلمات بلا معنى ترشد العالقون في الظلمات إلى طريق المخرج، ومن سيعيش حياة بلا قصة، يأكل وينام، ويخطو أينما تسقط قدمه على الأرض، ومن سيرفض أن يرفع قدمه، فيجد نفسه في السماء رفقة فتاة غريبة ليس لها وجود إلا في ذهنه. هذا أنا مجدداً، وسأبقى طفلاً يجيد القيام بما يجيده على أية حال مهما تغيرت الظروف، ما زال أمامي الكثير لأعيشه، قصة طويلة لأسجلها برفقتها، وأمور لا يمكنني القيام بها بشكل صحيح مهما حاولت، كالعودة إلى المنزل، ها قد حانت لحظة نهوضي من بركة ماء المستنقع تلك المغطاة ببقع الدم.

ظلام الليل الحالك قد جعل من السهل تمييز موقعها، بشعلة السيجارة التي في فمها، لا تظهر عليها نظرة الإصرار التي كانت على وجهها عندما كنا على متن القطار، هذه المرة غارقة تغّيب عقلها وقلبها الحنون، مشيت نحوها، والماء يرشح من ملابسي، مغلقة عينيها، تتأمل بحراً من الأيام الخوالي، ورغم ذلك شعرت بوجودي، أدركتُ ذلك بإطفائها لمسة سكونها، وبالابتسامة التي قد ظهرت عليها عند اقترابي، ترفع سيفها عن محور الأرض ليعود في غمده بعد عدة حركات استعراضية، وتقلب جسدها بزاوية مستقيمة كاملة فيصبح ظهرها على سياج الجسر المتهالك، وتنظر نحوي بعينين نائمتين هادئتين، وتقول:

- لقد كانت ليلة طويلة حقاً، هل ما زلت تصر على عدم العودة للمنزل؟
- بعد ما حدث اليوم، لا مكان لي في ذلك العالم.
- لجميعنا مكان في كل عالم، نحن فقط لا نرغب بالعودة إليه مصرين التمسك بالأيدي القديمة، نحن ليوم قد احترق لن يكون له مثيل، متمسكين بيوم مر وكأنه كل ما نحتويه من حياة. لقد رأيت تلك الأرض التي في أقصى الشرق

ذات مرة، إنها تثير الاشمئزاز لأبعد الحدود، ورغم ذلك أكملت السير نحوها حتى وجدت نفسي عالقة سجينة، لهذا ليس لي مكان بعد الآن، على عكسك تماماً، إنهم ينتظرونك بشوق أن تطرق باب المنزل، سينسون الماضي، وستصنع برفقتهم حقبة جديدة متجاوزاً ما حدث اليوم.

- لا مكان لي في عالم ليست فيه، لذا سأبقى برفقتك فحسب، متجنباً للحقيقة، ألا يمكنني ذلك؟

فقط صمتت وتجنبت النظر إلي، عادت تتأمل السماء بنجومها وكأنهن أهم من الإجابة على سؤالي، بل هي تعلم أن مرافقتي لها لهدف واضح، وعلى الرغم من ذلك لم ترد فرض وجهة نظرها علي كباقي الأشخاص الذين لا يرونني أكثر من طفل فحسب، هي تحمل ذنبها وتتحرك خارجاً، وأنا كالخلف الصغير أمشي خلفها، فقد قلت لها الحقيقة المرة، لا مكان لي في عالم خسرتها فيه، وبيدها القرار، أن تحمل مسؤولية فعلتها أو تركي جانباً فحسب.

المشيء في العتمة بعيداً عن أضواء الشوارع والمباني أمر يجلب السكينة حقاً، وكونها بجانبي يشعرني بالأمان. مشينا لمسافات طويلة في طرق خالية، قبل أن تقف فجأة في الطريق وتخرج سيفها من جديد، أمعركة ثانية في انتظارنا؟

- نحن الآن في مكان آمن، يمكنك استكمال المشي وحيداً نحو الأمام حتى تصل إلى المدينة، هذا هو عنوان منزلي، يمكنك البقاء هناك حتى الصباح، غير ملابسك واستحم، لا أريدك أن تصاب بنزلة برد.
- وماذا عنك؟
- لا يزال جدول أعمالي مليئاً هذه الليلة، لا تتوقع مني أن أترك هؤلاء الملائكة السود يفرون بفعلتهم بعد ما فعلوه بي.

لقد مضت كأي ليلة عادية، لم تعد بتاتاً إلى المنزل، وأنا نمت بلا أي ذرة ندم على ما حصل اليوم، لم يكن علينا الخروج، ولكن الأمر قد حصل وانتهى، فقط سأتذكر بسمتها.

إلى الفصل الثاني من هذه القصة، خرجت كالمحقق من المنزل رغم علمي أنها تريد مني البقاء، هي تصر على كتابة عبارة شبيهة بصناعة أصل مزيف آخر لي، بحاضره وماضيه، لربما تظن أيضاً أن عليها حمل وزر أفعالنا، رغم أنها لم يكن لديها أي ذراع في أمر هروبنا. أعرف أين ستكون تحديداً، يمكنني معرفة ذلك من كم القصص الكبير الذي قرأته، فكل الخيوط عند الشعور بالذنب تجتمع من جديد في نقطة اللقاء الأول، الجسر الذي سقطنا بالقرب منه، وهناك بالفعل التقيتها للمرة الثانية، ولكن هذه المرة بصورة أكثر حيوية.

تظهر خلفي، تعانقني بشدة، وقبل أن ألتفت للخلف لحماية نفسي وكسر قيد ذراعيها، تقوم بإسقاطي أرضاً بقدمها، لقد كان ارتطاماً قاسياً، وقبل أن أفتح عيناي من أثر الصدمة، تمسك ذراعي لترفعني إلى أعلى، ظننت أنها معركة من تصرفاتها، ولكنها فور رفعي بدأت اللعب في شعري وكأني طفل صغير، ومن ثم تحتضنني بكل حب، الحياة تمسي هادئة فعلاً في بعض الأحيان، في السابق عندما كنت لا أهتم لشيء عدا تفكيك القطع الكهربائية والأجهزة، لم أفكر أبداً بإضاعة وقتي في مثل هذه التصرفات.

لقد جلسنا على عشب ضفة النهر لوقت طويل، لوقت قد يتجاوز الأيام، كنا نلعب بكثرة هناك وكأنني طفل صغير، لربما كنت حقاً طفلاً بما أنني كنت استمتع بتصرفاتها بينما أبدي انزعاجي، وهي كانت حقاً تستمتع باستفزازي، قد أبدو نوعاً ما كالمنحرفين الذين يستمتعون بمواعدة فتاة أكبر منهم بسنوات طويلة، ولكن لم يهمني سنها أو شكلها، هي فقط تشعرني أنني لم أخسر أي شيء بمغادرتي المنزل عندما تكون بجانبي، وكأنها حقاً تصنع لي أصلاً مزيفاً بأفعالها، وحقيقة قد نجحت في ذلك، لا يمكنني الإنكار، إلا إنني في كل يوم يزداد شوقي لحياتي القديمة، حياة لن تكون هي فيها بعد الآن، حياة حقيقية.

وفي نهاية هذه الصفحة، عند غروب شمس نهاية الأسبوع، لقد سقطت علي فجأة، لقد كانت متعبة بشدة، لم أعرف سبب ذلك التعب، فأنا لم أهتم لأي شيء عنها من قبل، لدرجة أني لم أسألها حتى عن اسمها، لم تكن نفسي الصغيرة تهتم لأي شيء في محيطي غير

أني سأغادر عالمها يوماً، وهي تدرك ذلك، حينها جلسنا من جديد على مقربة من سياج الجسر، وكان علي إنهاء هذا الأسبوع المرح بنهاية مأساوية:

- شكراً على بقاءك إلى جانبي طوال هذه المدة، لقد كان اسبوعاً رائعاً حقاً، ولكن علينا الآن الاتفاق على بعض البنود أيتها المتعبة، ما أنت؟ وما علاقتك بحادثتنا لكي تكفري عن ذنبك بمحاولة جعلِ أنسى أمر القطار؟
- يبدو أنك تحب التحدث بجدية في بعض الأحيان. أنا الملاك آر واي ثمانية وسبعون، قائدة الفريق المهاجم من ملائكة الحياة سابقاً، لا يعني هذا أي شيء بالنسبة لك، أليس كذلك؟ ولكنه قد يفسر الواقعة التي حدثت بداية هذا الأسبوع، لقد كنت أتخذكما طعماً لصيد الملائكة السود، رغم معرفتي بأن نهاية مؤلمة ستحصل، إلا أنني، بكل سادية، رفضت إيقاف المحاكاة، طمعاً بإيجاد طرف خيط يقودني نحو الخطة المجنونة التي يقومون بها حصراً في اليابان، بعيداً عن أعيننا.
- وهل نجحت في ذلك؟ أعني، إيقاف أولئك الشياطين أمر مهم أيضاً، فأنا لا أريد لأحد أن يفقد شخصاً عزيزاً عليه كما حصل معي.
- لقد فقدت كامل تركيزي بسبب حادثتك، ولكن إن كان هذا هو رأيك، فربما يمكنني العودة إلى السباق مرة أخرى. نعم، لقد حصلت على دليل جيد لم حدث معكما كما توقعت، سأبدأ من الغد تحقيقي، أهذا جيد؟

هذا يبدو جيداً إلى حد ما، فقد انتهت حكايتي بالفعل، ويجدر بنا إيقاف ذلك التهديد عوضاً عن جعلها تستمر بالندم حول ما حصل، عليها أن تدرك شعوري هذا لكي تعود إلى حالتها السابقة، ملاك شديدة القوة والجمال، وتنهي هذه المأساة التي لربما قد طالت العديد والعديد من سكان هذه البلدة، وعليها أن تنسى وجودي، فلدي مكان في حياتي، ولا يجدر بي أنا أيضاً التأثير على حياتها، فلكل منا قصته الخاصة وواجباته، يربطنا علاقة موت يجب نسيانها. لربما كان علي سؤالها، ما الذي يمكنني فعله لصنع أصل مزيف لها.

الشق التالي من القصة لا يتحدث عن كازوكي في عالم الخيال، إنما عن راي --لفظ اسمها بهذا الشكل كان أسهل-- وهي تغادر مبتعدة ذلك اليوم. لقد كانت ليلة بقمر كامل، تخطت الغابة مشياً على الأقدام، وتجاوزت عتمة الليل بشجاعة دون أن ترفع سيفها من وحوشه، لم تخيفها نظرات أعينهم، ولا تتبع حركتها في ظل ضياءها، كالجميلة رفعت سيفها آنذاك، وكأنها قسمت القمر إلى جزئين متساويين، أمامها منزل بات منزلهم وللغربان من خرابه، فتحيطها الذئاب طامعة ببريقها، تغلق عينيها حينها فتستنشق ذرة من سكون الأسود، وبقوتها تفتحها مندفعة بسيفها نحو الأمام، فأمست كالزهرة الأولى، مميزة بوحدتها، عظيمة باستقامتها، خلابة بصمودها ونشأتها، كيف لا يملك شخص مثلها منزل؟!

ينتهي موسم الحصاد ودموع سيفها باتت دماً، ما زالت أنفاسها مستقرة ولكن عيناها لا تزالان تخشيان تخطي الأرض، يبدو أن بإمكانها قتال المزيد والمزيد منهم دون أن تسقط أرضاً من ألم الجروح، وبينما يتأرجح رأسها، بتعابير يأس وحزن، بضبابية عينيها تبتسم متحدية العذاب الذي يرافقها، فترفع رأسها دفعة واحدة حينها، نحو المنزل الذي لا يزال متشجراً في الأرض، جثة بلا أقدام وبحلقة فوق الرأس تتسلق قمته زحفاً، ترفع يديها صانعة إشارة كالصليب قبل أن يصدمها الرعد، يبدو أن المعركة النهائية قد حان موعدها. تجتمع الأرواح التي سلبت فوق المنزل، ويتشكل ذلك الملاك المزيف الذي يحاول تخطي كونه شيطاناً بائساً، بوحشيته وقبحه يستولي على كل تلك الحيوات الطاهرة، بل تتخطى كونها عدد من الحيوات، فهي قصص وأحلام تشكلت بعد عناء طويل من تخطي تحديات الحياة، تسكِبُ الدموع عن سيفها فيرتجل، وتعدّل من وقفتها مستعدة للهجوم، وقبل أن تبدأ تبتلعها الأرض مع انهيارها، فلا يصبح الموقع بمنزله إلا دهليزاً جديداً من الخراب، تجاوز الأنفاق والأجساد، وصلنا بالفعل إلى مركز الملائكة السود في اليابان، ولذكرى قديمة لفتاة عالقة وحيدة وسط الصخور.

جميع الكاميرات سلطت على ذلك الانهيار المفاجئ الذي صنع زلزالاً في المنطقة، لقد كان الأمر مخيفاً جداً لدرجة جزمت علاقتها به، فهرعت ركضاً خارج المنزل نحوه، نعم! هذه

المرة تسلط علي، طفل مجنون يتخطى رجال الدفاع المدني، ويتجه إلى الأسفل بعقلانية وروية نحو قاع الحفرة، وكأنه مشهد من فيلم أكشن سينمائي، كنت أعلم أنني لن أستطيع القيام بأي شيء بالنسبة لها، لربما سأكون عائقاً فحسب، فكم هي قوية مقارنة بي، ولكنني على الرغم من ذلك رفضت الجلوس والتفكير في احتمال خسارتها أيضاً، فأنا من جعلتها تذهب إلى هناك، أنا من قدتها إلى هذا الهلاك، هي خطتي، فكان علي أن أكون بجانبها.

لقد كانت على شكل خطوات بطيئة منذ رأيتها، مع لحن درامي كلاسيكي، يدخل البطل وهو لا يرى غير وحش عظيم أبعد ما يكون عن الملائكة على وشك أن يصيب جسدها المسلِّم المتّكئ، مغلقة عينيها وسيفها على الجانب الآخر، وكأنها تحاول مغادرة هذا العالم بابتسامة حزن، وكأنها أمنيتها منذ الأزل، فأحمل السيف وأكمل الركض. بالفعل حدث هذا في لحظات دون أن أدرك، وقفت أمامها والسيف في الأرض لأصد هجومه، عندها لم أحتمل قوة لكمته العظيمة فأحلق بعيداً مصطدماً بالجدار، وما أن سمعت صوت الارتطام فتحت عينيها لأول مرة بشكل صافٍ، مندهشة ومرتعبة من حالتي، وقبل أن أفتح عيناي أنا أيضاً من أثر الصدمة، تمسك ذراعي فترفعني إلى أعلى، ومن ثم تحتضنني بكل حب، تسلب سيفها من يدي، والآن تقف بكل غضب إلى جانبي، وقبل أن تندفع للمرة الأخيرة نحوه، تنظر إلي بعتاب، وتقول:

- أنت أيضاً لن تسمح لهذه الملاك بالمغادرة! اللعنة عليك أيها الفتى. تشه! تبدو متحمساً الليلة، هل أنت مستعد لإنهاء هذا الكارثة إلى الأبد؟

انتهى القتال آنذاك، غرست السيف في قمة رأسه ووقفت إلى جانبه، وكأنها ترفع راية النصر، وتضحك لي، فيسجل ذلك المشهد العظيم حصراً في تاريخ طفل بشري سخيف مثلي، لربما في حالتنا كانت زهرة وحيدة، ولكنني أعلم في أعماق تلك الشجرة هناك من يقاتل في الخفاء مثلها لإنقاذنا، هناك من يحوي عظمة وبهاءً بسيوفه ضد وحوش تحاول التطور على حساب مستقبلنا، أولئك هم ملائكة الحياة، أريد يوماً لقاء جميع أفرادها.

تنتهي تلك الأيام التي خلقت من العدم لتعلمنا قيمة المنزل، هذا ما كنا نحاول الوصول إليه، المكان الذي يحتويك، بنقصك وضعفك، بقوتك وكمالك، والهروب منه، وحدك أو ممسكاً بيد أحدهم، سينتج فراغاً يتسع حتى يبتلع قلبك اليأس، هذه هي الحالة التي كانت تصيبها، هي قد هربت من منزلها، وغرقت في عقلها المشتت بأفكار البقاء خارجاً لأطول فترة ممكنة، متحدية الكون بأنها تستطيع أن تكمل حياتها لوحدها، فتجدها تمسح قطرات الدماء العالقة على تنورتها بالقرب من ضفة النهر، بملامح حزينة فاقدة لأي شعور قادم، لقد انتهت مهمتها هنا، وفي ذات اللحظة هي لا تريد العودة، ربما تفكر بأنني سأغادر قريباً أيضاً وأتركها، وبهذا يعمل لحن طفولي بينما أنا على الجسر أراقبها.

- ما أمر تلك الضمادات التي على رأسك! إنها تبدو مضحكة حقاً!
- لست ملاكاً قوياً مثلك لأشفي نفسي، علي الانتظار أياماً حتى أتخلص منها. هل أنت بخير؟ كنت تبدين وحيدة جداً هناك.
- لا بأس، لقد اعتدت على الأمر، سأحاول أن أجد عدواً آخر للقضاء عليه في الأيام القادمة، ولكني ما زلت أشعر أني قد نسيت شيئاً في هذه الحكاية.
- سأعود إلى المنزل الآن، جئت أشكرك على ذلك الوقت الذي قضيناه معاً.

إنها تقترب مني ببطء، تعانقني من الخلف بهدوء، هذه المرة بكل لطف مغلقة عينيها، هل هذه هي طريقتها في التوديع يا ترى؟! ولكن سأكون صريحاً، سأشتاق جداً لها.

- حظاً موفقاً إذن في أيامك القادمة، لولاك لما كانت هذه الملاك تقف على قدميها الآن، لربما الكثير من أهل المدينة أيضاً، أنت بطل هذه القصة، كازوكي. ولكني أريدك أن تعدني بشيء قبل مغادرتك، أنك لن تعود إلى هذا المكان أبداً، ولن تهرب من المنزل مرة أخرى، فقد رأيت بعينيك تكلفة الهروب العالية. وعزائي لك، قبرها بالقرب من مقصورة القطار الأمامية، دفنتها هناك سابقاً.

بدمعتها، المغادرة هكذا، الأمر حقاً مثير للشفقة، يا لي من طفل لا يراعي أبداً شعور من حوله، وفي ذات الوقت، لا أريد تركها هناك تعاني. خلال تلك الأيام التي قضيناها معاً،

حصلت على فرصة كافية لأعرف بالتحديد ما تحتاجه وما ينقصها، فقط منزل يكون بمثابة عالمها المزيف، إن كانت ترفض قطعاً فكرة العودة إلى منزلها لسبب ما، فلمَ لا أجعلها تعود إلى منزلي فحسب، وبالتالي أنهي معاناتها التي لا تنتهي، نعم! بهذا تنتهي حكايتها، وتعود الأيام إلى شكلها الطبيعي، فهي تستحق أن تعامل كبشري، مثلنا جميعاً.

- لربما هذا ليس ما كنت أفكر في فعله حقاً، ولكن لدي حلم أخير أريد تحقيقه برفقتك، ليس حلمي فحسب، بل يمكنني القول أنها رغبتك التي كنت تعلمينها طوال الوقت، فقط لم تمنحك الحياة الوقت الكافي لصياغة الكلمات فتطلبيها مني، سأقوم بسؤالك هذا لمرة وحيدة، هل يمكنني تحقيق ما ترغبين به؟ هل يمكنني أن أكون المنزل الذي تعودين إليه؟ هل يمكننا العيش هكذا معاً للأبد؟ وتعلمين؟ نحن نملك مقهاً كبيراً بإمكانك مساعدتنا في إدارته كوظيفة جديدة.

تجف الأقلام واضعة قطرات حبرها الأخيرة في تلك القصة، ليكون المشهد التالي هو مشهد الختام، تتمدد في الصباح الباكر متثاوبة من ليلة طويلة، تنظر للحظات في المرآة على شعرها المبعثر، فتحركه بهدوء بيدها قبل المغادرة نحو الحجرة الأمامية، تمسح الطاولة الرئيسية، تجهز وتشغل المطاحن، ومن ثم تحرك اللافتة التي على الباب، وفي لحظات يرن الجرس مع دخول زبونها المعتاد، محققة صغيرة، فور دخولها تبعثر أوراقها على الطاولة وتحصل على كأس قهوتها المعتاد، والأخرى تجلس تراقبها طوال اليوم حتى تغادر بينما تخدم الزبائن الآخرين. هرمت وانقضت أيامي، ولكنني ما زلت سعيداً لأنها وجدت منزلها الذي لطالما رغبت بالعيش فيه، أنا متأكد من هذا، هي لن تكون وحيدة أبداً بعد الآن.

الفصل العاشر: ألحان من صوت النعيم

(1) النشرة الصباحية

هنا تنتهي رحلة مآسينا، نتوقف قليلاً بعيداً عن الهاوية التي سنسقط فيها عاجلاً أم آجلاً، لنستمع إلى بضع كلمات رقيقات، من فتيات قيل فيهن أنهن لا يهتمن لشيء سوا القتال والقتال، ظنوا أننا في الظلال نختبأ، بعيداً عن أعينهم، نحارب الشر ونعود لجحورنا، ولكننا في الواقع كنا في كل مكان، لربما تكون قابلت واحدة منا من قبل مصادفة، ابتسمت لك، تعاملت معك، وربما قضت الكثير من الأيام في إسعادك، ملائكة الحياة ليسوا وحوشاً، نحن أقرب للبشر في مشاعرنا، نحب أن نقضي حياتنا بما يسعدنا، ونساعد من يحتاجنا، دون أن ننسى مهمتنا بالطبع. لهذا، أنا "يو دي خمسة وأربعون" أو يودي، أخر وليدة، سأرافقكم هذا الصباح في جولة حول عالمنا، أحدثكم قليلاً عن ملائكة الحياة، وخلال هذه الرحلة، نرى كل زميلة كيف ستجيب على سؤالنا: ما الذي تقومين به في حياتك؟ وكيف تقضين أيامك؟ وكيف هو عالمك؟

هذا المكان تحديداً يدعى بالمؤسسة، إنه بمثابة مركزنا الرئيسي في عالم البشر، يقع تحديداً في كاليفورنيا أمريكا، وهنا نشرة الإعلام خاصتي تقع، نحن نبث الآن من المؤسسة! يجب على جميعنا حضور الاجتماعات هنا حسب الفرقة التي يقع فيها، هنا أيضاً يتم التصويت على القادة، وفرض العقوبات على الأعضاء المخالفين، ومعالجة أحداث العالم الخيالية التي كانت لنا أو للملائكة السود يد فيها، نتعاون أحياناً مع بعض عناصر الشرطة أو الاستخبارات الأمريكية في تحديد عناصر أو حل قضايا، وفي الغالب التغطية على أحداث برز وجودنا فيها. ضيفنا موجود في هذه الغرفة، إنها مقيمة الحالة، أس بي ثلاثة.

- هل هذا بث حي؟ حسناً.. عادة أجلس وحيدة فقط في الخارج، أحب رؤية الطبيعة بعيداً عن الملائكة والأوراق. لقد حصلت مؤخراً على كلب أيضاً، لذا أعتني به كلما أعود من العمل، إنه صغير ومرح ويدعى ألكسندر.

بعيداً قليلاً عن تلك الغرفة، عندما نعبر إلى الجانب المظلم من المكان، لعدم احتواءه على مصابيح بالطبع، نجد مكتب المديرة، أم كيو اثنا عشر، الراعية لهذا المركز، وهي التي من المفترض أن يصلها المعلومات والطلبات من السماء، ومن تحدد مواعيد الاجتماعات، والموافقة على الخطط والمهام الخاصة، ليست قائدة الملائكة كما يظن الكثيرون، إنها كالأم فقط بالنسبة لنا.

- كيف أقضي أيامي؟ هنا في هذا المكتب، أراقب كل واحدة منكم، أسأل عن حالتها، أعالج مشاكلها، أقدم النصح والإرشاد لها، أضيع الوقت في محادثات حب غريبة لا طائل منها معكم. ماذا عنك؟ هل جئت للحصول على نصيحة أيتها الطفلة الجديدة؟

وكأن هناك من يحتاج إلى نصائحكِ، أيتها العجوز! هل ما زال يصور؟ علي قص هذه اللقطة في المونتاج. حياتنا لا تقبع بالكامل عند هذه الزاوية، فعندما نبتعد قليلاً نحو باب المؤسسة، هناك سي أف ثمانية وثلاثون، إنها تحب الاعتناء في الحديقة والأزهار، لهذا يمكنني توقع إجابتها من الآن، ولديها غرفة خاصة في المؤسسة تقوم بتحويلها إلى جنة من عدة أنواع فريدة من النباتات، تساعدها في ذلك إي سي أحد عشر، الأخرى تصنع مجراً هندسياً يقوم بتوزيع الماء على كل زرعة حسب احتياجها، ومن ثم عودته إلى بركة في الوسط حتى موعد السقية التالي، كلاهما يعمل بجد على ذلك المشروع منذ فترة طويلة، لذا بالتأكيد سيكون لنا حلقة خاصة مفصلة حوله عندما ينتهيان.

وفي الخارج، هناك مئات الملائكة يتجولون على شكل فرق لحماية العالم، لم نكن على هذه الشاكلة في السابق، كنا فرقة واحدة مهاجمة، كانوا هم إن صح التعبير، قبل أن تقع تلك الحادثة قبل سنين. مهمة خاصة قررت في طوكيو اليابان، بعد معلومات بأن الملائكة السود يعدون خلية جديدة هناك، كانت قائدة الفرقة آنذاك آر واي ثمانية وسبعون، قاتلوا حتى وصلوا إلى الأعماق، وهناك وقعت معركة ملحمية قتلت فيها القائدة، وتفرقت الملائكة مما حولهم إلى فرائس سهلة أثناء مغادرتهم، لم يعد من أعضاء النخبة أحد، تبعه

هجوم شرس على المؤسسة، دمار واسع، وفساد عظيم. أُرْفقتْ هذه العملية في البيانات السرية قبل أن تنشر للعامة بعد أيام، مديرة الجمعية ركعت أمام الجميع، رفقة المسؤولين في بث حي فريد من نوعه، لقد كان اعتذاراً جاداً حينها، وخلال ذلك البث وعدت الجميع بتغيير بنية المؤسسة من الداخل، نحو بنية أكثر تماسكاً وأشد قوة، هذا هو النظام الذي نسير عليه حالياً، وبالفعل هو أفضل، الفرق تمنع أي هجوم في أي مكان، وأن تعرض مكان ما لخطر محتمل، فإن الفرق تتحد بشكل منفصل وبخطة موضوعة للقضاء عليه نهائياً بأقل الخسائر، وفي ذات الوقت الدفاع عن المؤسسة بقبضة من حديد.

لقد تكلمنا كثيراً عن المؤسسة، حان الوقت لنتكلم في هذه النشرة أكثر عن الفرق. كما أسلفنا سابقاً، فوظيفة المجموعات الأساسية هي حماية مكان معين في العالم، وتدريب الأعضاء في بعض الأحيان. مجموعتي، صاحبة الرقم خمسة وثمانين، تتكون من أربعة أعضاء، القائدة أي كي سبعة وثلاثون، السيدة أيكة، المساعدة أتش جيه خمسة وثمانين، دودة الكتب هيجي، المهاجمة أف آر ستة وتسعون، فيري الباردة، وأخيراً، المتدربة المستجدة والمقدمة العظيمة، يودي البراقة.

- (هيجي) تصورين شيئاً جديداً؟ يجب عليك التركيز على القتال الآن.
- هيا! أحتاج فيديو لكم تقاتلن لكي أضيف حماساً على النشرة وسط كلماتي.
- صوري هنا! يودي!! هنا!! انظروا كيف ستدمر أيكة كامل المبنى بقوتها!
- (هيجي) لا تقومِ بدعمها أنت أيضاً! آه! أقصد، عليك التدرب، لهذا أنت هنا!
- (فيري) صباح الخير أيتها الفتيات! لماذا تقوم أيكة بتدمير مبناً للبشر؟ هل حصلنا على مهمة جديدة؟
- (أيكة) انتظرِ لحظة! هل قلت مبناً للبشر؟ أليس هذا هو المبنى الذي طلب منا تدميره في الأمس؟
- (فيري) لا، لا، بالطبع ليس هو، إنه المبنى المقابل له. أليس هذا واضحاً؟ كنا نقاتل الملائكة السود فيه وهم يصرون على الدفاع عنه منذ زمن. [اقطع! اقطع!]

لنتجه الآن إلى الناحية المعاكسة من هذا العالم، الملائكة السود، هذا هو الاسم الرمزي لهم، ولكنهم في الواقع كائنات غير مكتملة النشأة، ظهرن لأول مرة في قصة حب فريدة، عندما سقطت ملاك في حب شيطان غريب، عاشا معاً لفترة طويلة، ولكن لم يستطيعا الإنجاب لاختلاف أجناسهم، فاستعملا السحر الأسود من أجل خلق هذا النوع من الوحوش، أليست قصة غريبة؟! بالطبع لم يحصل شيء من هذا، إنها فقط قصة خيالية كتبت على يد ملاك ما، تعود نشأتهم إلى بعض الأبحاث التي بدأت في الأساس داخل مدينة الحكمة على يد البشر، بواسطة بعض علوم سيلي لهيكلة الدماء، واستمرت في صفر واحد رفقة بحوث عصيدة لخلق الطاقة، كان الهدف الأساسي من هذه التجارب صنع جنس مطور من البشر، ولكنهم في الحقيقة جلبوا لنا الصداع في مواجهة وحوش غير مكتملة النمو، هم ليسوا أكثر من مخلفات لتجاربهم.

- (فيري) ورغم ذلك، ملائكة الحياة لم تأسس لقتال الملائكة السود كما يشاع، كان هدفها الأول والوحيد الحفاظ على سلوك مسار تطور البشرية، حياة طبيعية، منعهم من التورط في أمور لا تعنيهم، ولكن يحب البشر حشر أنوفهم في تلك الأمور... إجابتي على سؤال الحلقة؟ بسبب حبي للحدادة، أقوم بتجربة أنواع فريدة من الأسلحة في وقت فراغي، بعد صنعهم بمواد وخامات مختلفة.

دعونا نختم نشرتنا الصباحية بهذه المعلومة السريعة، ملائكة الحياة هم أقرب للبشر من التنانين، ليس بسبب فرق طاقتهم، بل بطريقة بناءهم، بطريقة تفكيرهم، بعيشتهم وأيامهم، بمهاراتهم ومواهبهم، بمشاعرهم وأحاسيسهم، فربما جميعنا يقاتل، ولكن لكل واحدة منا حياتها الخاصة وطريقتها في فهم الأمور، ولهذا أنت، أيتها الملاك اليائسة المملة، إن كنت فاشلة، إن كانت مرتبتك منخفضة، إن كنت ضعيفة وبلا فائدة أو في محل غير محلك المفضل، ما زال بإمكانك أن تعيشي كما تريدين كبشرية، مثلنا جميعاً، وأن تكون لك حياتك المنفصلة الخاصة، تقومين خلال أيامها بما تريدين.

- (فيري) قمت بسحق قلوبهن جميعاً، ما نوع هذه الخاتمة؟! نشرة مضحكة حقاً.

(2) دع الكلمات تجرح

هل رأيت الجنة عندما ولدتِ؟ هل تكلمتِ مع الحاكمة؟

فأنت ناعمة لا تفارقك الدهشة، هادئة ساكنة مسرورة.

هل خروجك من السماء وهبوطك إلى الأرض كان أمراً جيداً حقاً لكيلا تبكي؟

والنزول إلى العذاب، إنه بمثابة جحيم للملائكة.

لستِ كواحدة منا أنت أكثر بشرية منا جميعاً، وكأنك اخترت الأرض بالفعل.

الجميع أحاطها وكأنها شيء ثمين، السماء كانت تمطر بشكل مخيف معلنة نهاية القرنية الأخيرة، عاصفة مدمرة إن صح التعبير، وكأنها تعلن بداية عصر الفوضى في عالم صفر واحد، ورغم ذلك ظهرت بشكل غير متوقع، وولادة غير متوقعة لأحد الملائكة التي كان من المفترض أن يكون ظهورها منقذاً للعالم، هذا ما تمناه الجميع من السماء أن ترسل، قائدة جديدة، مهاجمة عظيمة، ولكن على الخلاف تماماً، ما ظهر كان U لا ينتمي إلا لوحدة كشافة أو تنظيم، حالة استياء شاعة في المؤسسة: "سنستمر بالقتال كما نحن وكأن هذه الملاك الجديدة لم تظهر"، بل بدأت تظهر هالة عدائية من الجميع اتجاها، إلا المديرة التي كانت نظرتها مختلفة حول الأمر، بدأت تمس بشرتها وتهمس لها بالكلمات التي بالأعلى، ومن ثم تقف لتبارك لهن، صامدة من سهامهن ومستقرة من الداخل، مستقيمة تقول:

- أف آر، أنت أقدم الملائكة هنا، هل رأيت من قبل ولادة كهذه؟
- لا يا حضرة المديرة، إنها ولادة مميزة بالفعل، ولكن...
- ما زلت بكامل إيماني أن هذه الملاك فريدة حقاً على الرغم من فئتها وتصنيفها، هدية مفاجئة من السماء لكي تنقذنا، ولكن سيظهر عنصرها في الوقت المناسب، مثل ما حدث معكم جميعاً، لذا أريد منكم إعطائها فرصة. ولذلك، يا أف آر، ستكون هذه الملاك بين يديك ورعايتك.

رأسها على الطاولة كان ولا يزال، عين فقط هي ما تحدق بذلك الشخص الذي حضر بعنصره الفريد، والأخرى على المطر المنهمر الذي لا يتوقف على النافذة، ترمي كتاباً إلى جانب رأسها فتسحبه بيديها وتقلب صفحاته، ومن ثم تنهيدة وإعادة الكتاب إلى صاحبته.

- لا يمكنك قراءة أي من حروفه بالطبع، مكتوب بلغة مجهولة تمنع أي شخص من الحقبة السادسة أو السابعة من فهم رموزه، هذا أقل ما توقعته من كتاب ملعون يشرح طريقة تحويل كائنات مستقرة إلى وحوش مبعثرة الوجود.
- (؟) ولكن هناك من استطاع بطريقة ما ترجمته وخلق لنا الفوضى في العوالم، وترك فقط هذا الكتاب لغزاً وراءه، عقبة تمنعنا من إنهاء هذا التطور المجنون للخلايا المختلطة. هل تظنين أن هناك مضاد ترميز لكلماته في مكتبة السماء؟
- لا يمكنني التوجه إلى هناك بعد الآن، لقد أصبحت عيناي ضعيفتين. على أية حال، شكراً لك على إحضار نسخة منه إلي، يبدو أن أقدام العناكب طويلة كما توقعت ويمكنها التجول في العوالم بحرية، وحتى الوصول لأسرار عصيدة.
- وأقدامهم حادة أيضاً، لذلك لا تلعبِ معهم بكثرة أيتها الباحثة الصغيرة. وما شأن الملاك الجديد؟ لم تكن ولادتها طبيعية، هل لديك أي معلومات حول الأمر؟
- ما زلت أبحث في أمرها، يبدو أن للملائكة السود يد في ذلك أيضاً. إن عثرت على طرف خيط، سأنتظر من أقدامك الحادة أن تكون بجانبي!

ويمكنك تخمين خطتها بالفعل من تصرفاتها، إنها تغادر مرتّبة رداءها الأبيض حاملة مظلتها، كما فعل زوجها في السابق، وحكمته: أفضل طريقة لفهم عدوك أو صديقك هي بجعله دوماً حولك. كما فعل هو معها ستفعل هي معها، خطة يسيرة، أليست كذلك؟ ولكن هنا يقبع أكبر فراغ في المهمة، كيف ستجد طرف الخيط المناسب لكي ترميه لها، فتتسلقه يائسة دون إدراك بمحيطها. تشرب قهوتها رفقة أضواء الطريق، فتمر الأيام بسرعة كالعادة من حولها، وتبدأ حكاية كانت الفارقة لكل شيء أثناء سقوط القطرات المتبقية في الكأس الملقى.

زلزال يتبعه انهيار لعدم تماسك المبنى، ينتشر الغبار فوق كل سطح جاذباً أنظار من في المدينة حوله، ومع مغادرتهن المفاجئة من المكان تمسك فيري يدها، إنها حقاً تحاول جاهدة ألا تسقط بشكل خاطئ، وعند وقوفهن على الأرض يهرعن بالهرب فور رؤية سيارات الشرطة الخاصة، هي ليست مسألة حياة أو موت فقط، إنما هرب من خطأ جسيم قد يهدد تصنيفهن جميعاً، يضحكن ويهربن حتى توقفهن يودي.

- الكاميرا! لقد سقطت مني عندما قفزنا! لقد سجلت ساعات بواسطتها اليوم!
- لا تقلق، إنها معي. وأريد أن أصارحك في أمر ما، عليك التركيز على تطوير أسلوبك القتالي، فليست لديك موهبة في تسجيل اللقاءات أو تقديم النشرات.
- ولا يجب علينا أن نقضي جميع أوقاتنا في القتال، هيا! نشرة اليوم كانت عن وظائف الملائكة الجانبية. هل علمت من قبل أن أس بي لديها كلب صغير؟
- تلك الدودة البائسة لديها حياة خارج مكتبها! أنا أقصد... حسناً سأكون صريحة في هذا أيضاً، أريد منك إخراج معدنك في أقرب وقت ممكن، لقد تعبت من القيام بكل مهام التطهير لوحدي. سامحيني إن كنت أضغط عليك كثيراً في هذا.

لا بأس في ذلك حقاً، هذا ما قلته بينما أكملت خطواتي، فأنا بالفعل لست مفيدة في القتال أو الكلام، فيري لا تستطيع إخفاء الحقيقة الظاهرة أبداً، ويمكنني تفهم حالتها، هي بأمس الحاجة إلى مهاجم آخر لكي يساعدها، وأنا أحاول الهرب من أرض المعركة فحسب بحجة أنني لا أستطيع القتال بعد. بعد لحظات أدركت أنها لم تعد بجانبي، أنظر للخلف فأراها سجينة أحد شاشات الشارع، ما دعا فضولي لأرى ما شد انتباهها.

- هل هذه المغنية الجديدة؟ سمعت أن لها حفلاً ضخماً الليلة وسط المدينة.
- ألا تشعرين بشيء غريب حولها؟ إنها تشبهك حقاً. هل جربت الغناء من قبل؟

الغناء؟ ما المغزى من الغناء على أي حال؟ إنه كالنظر إلى السماء وقت الغروب، فقط تمنحنا نوعاً من الطمأنينة وشعور بأن كل شيء على ما يرام، رغم أننا بالفعل في حال لا نحسد عليه، وضع بضع أصوات رفقة بعضها البعض، كصنع شيء معدوم من حيث القيمة

الهرمية للفريق، كحل مشاكل لم تكن موجودة بالنسبة لنا، ينتهي الأمر بشبكة معقدة من النغمات اللطيفة، ونرمي من بعدها الكلمات التي لا يجب أن تكون أكثر من ديكور يزين تلك الألحان، شيء مشابه لما يجري في عقولنا حالياً، مبعثرة ضائعة، حتى يغمى علينا في محاولة الصمود والوقوف. هل تصدق؟ الغناء هو ما تحتاجه الملائكة هنا!

- عذراً يودي، هل يمكنك ترك مقدمة السيارة للحظة؟
- إي سي! هل سمعت أحد الملائكة من قبل تغني؟
- سيكون الأمر مدهشاً حقاً، كنت أخطط لحضور حفل الأمس لولا أنه تأجل لنهاية الأسبوع، الأمر محبط جداً عندما تحدث كوارث في اليوم الموعود فجأة.

هنالك سكتت فجأة وكأنها على مسرح، وبطرقات كعبها على حديد القاعدة الصدأ صنعت نغمتها الأساسية، وبأصوات من فمها أكملت الحن، تحرك رأسها بلطف مغلقة كلتا عينيها، لقد استطاعت بالفعل صنع موسيقى كاملة القوام دون القيام بأي جهد حقيقي، ورغم بساطته إلا أنه استطاع جذب انتباه مهندستنا فتتفاعل مع ألحانها، وقبل أن تبدأ بالغناء يقطع حضورها المشهد.

- لقد كان هذا مدهشاً حقاً، يبدو أنني كنت صائبة عندما أخبرتك بتجربة الغناء. أعتذر على قطع وقت مرحكما، ولكن هناك مهمة خاصة أريد منك مرافقتي فيها.

سنكمل ذلك اللحن، ولكن هذه المرة بشكل أكثر حدة مع سقوط المنازل واحداً تلو الآخر بسيف عظيم كانت تحمله فيري، ومقابلنا وحش قبيح لا تؤذيه كل تلك القوة، البقاء والقتال كان مضيعة للجهد والوقت، أقولها وكأن بإمكاننا تركه والمغادرة، فأنت لا يمكنك الانتصار على من يأكل حياة كل من في المنطقة لكي يتطور أكثر وأكثر. تزرع السيف في يدها لتسقيه دماً، وبتعويذتها المميزة من سحر فليريا، بلد نشأتها، يسودّ معدنه حتى تصبح قمته مزينة بسيولته، ننتقل للفصل التالي عندما تبتسم لي وتربت على رأسي فجأة وكأنها ستغادر للأبد، فتمسح دمعة كانت ظاهرة خارج عيناي وتقول:

- لهذا نحن بحاجة إلى مهاجم آخر. أليس هذا مثير للسخرية، إنهم يتطورون كل يوم، بينما نحن نقل ونضعف، إنهم يلعبون حرب استنزاف واضحة لا يمكننا أبداً مجاراتهم فيها دون دعم مباشر من السماء. كونِ قوية، حسناً! ما زال هناك عذاب طويل في انتظارك داخل جحيم الأرض.

ترمي عينيها التي كالسيوف نحوه قبل أن تندفع بكامل قوتها، ولكن هناك من يندفع قبلها فجأة، جاعلاً جسدها الغير متزن من سرعته بالكامل يتوجه للأرض، قوة عظيمة لم يرى مثلها من قبل، امرأة ظهرت كالشهاب، اخترقت الوحش وفي لحظة اخفته من الوجود.

- (؟) كم أنتن يائسات! أحقاً تودعون بعضكم من أجل وحش سخيف كهذا؟! يبدو أن عصر الملائكة قد انتهى وحل عصر البشر، فقط دعوا هذه النجمة تسطع في الفضاء بروعتها، وتنقذ عالمها.

كنت صامتة مندهشة من المشهد، ولكن ترفع فيري رأسها عن الأرض ملقية سيفها نحوها، يبدو أنه لم يعجبها وجود شخص أقوى منها في هذا العالم.

- بحق الجحيم ما أنت؟! لست من الملائكة السود، ولكن مستوى طاقتك المجنون يتجاوز المستويات العليا في تصنيف الملائكة، بشرية؟ أي نوع من البشر أنت قد يتخطى كونه حشرة بلا قيمة في عالم فاسد كهذا؟
- يبدو أنكم لم تسمعوا بعد عن الجيل الجديد من البشر. بينما أنتم تقاتلون فساد هذا العالم، قد استطاع البشر منح أنفسهم الطاقة لإنقاذ عوالمهم دون مساعدة.

ستركع عند قدميها اليوم لتطلب مساعدتها في إنقاذ المؤسسة، هذا ما ظهر من كلماتها وتصرفاتها، تخطت كوني المنقذ في لحظة ووجهت كامل نظرها نحوها، تلك المرأة الغريبة. حينها قررت المغادرة، الوضع على تلك الحال لم يعجبني البتة، فذهبت وحيدة أمشي، أغني بلا وعي في الطريق، وكأن عقلي بدأ يبرمج نفسه على تلك الوضعية التي تريد تجربة الغناء في كل وقت وحين، ولكنني ما زلت أتسائل، لماذا ولدت في هذا الوقت تحديداً؟

هي من تفتح الباب هذه المرة، تدخل ببرود وسط بنادق ورشاشات، جميعهم موجهون نحوها، ترمي الكتاب فيعلق وسط شباكها المنتشرة، ورغم ذلك أكملت المشي نحو الأمام، ترفع رأسها بنظرات جادة، ولا يعني هذا إلا أن الأمر كارثي حقاً، فهذه الباحثة لا تتحرك إلا عند الطوارئ، ولن تغادر معملها قبل أن تتأكد أنه سيكون أخر يوم لها فيه. تقف عن عرشها وسط ضحكة وعينين ملتهبتين لسفك كم من الدماء، وتضع ذراعيها حول رقبتها، فتصبح جاهزة لتغلق فكيها على قلبها مباشرة.

- الملائكة السود لهم سبع خلايا في دول تواجد الملائكة السبعة، وأكثر من خمسة عشر وحش مدمر جاهز للقتال، سقط أحدهم بالأمس على يد كائن بشري هجين يدعى بالفضاء، يبدو أن الليلة ستكون الأخيرة للمؤسسة إن لم نبذل جهداً لإيقاف ذلك. ماذا سنفعل برأيك؟
- أتريدين من عنكبوت وحيد أن يقضي على الملائكة السود؟ أفضل مشاهدة سقوط أولئك الفتيات من هنا عوضاً عن إضاعة الوقت في إنقاذ عالم لا أهتم له من الأصل، دعِ الحاكمة تنقذ عالمها وملائكتها، إن كان هناك حاكمة في السماء.
- أنت تقترفين خطأ كبيراً أيتها العنكبوت، سقوط الملائكة هنا يعني فناءهن للأبد.
- ستبدأ الآن أثينا بتعليمي دروساً، لمَ لا تحملي سيف فيارا وتقاتلِ؟ هذا لأنك بشرية وضيعة لا يمكنك حتى الصمود من خنق بسيط بقدم عنكبوت! لم لا تطلب المساعدة من الفضاء تلك إذن؟ إنها بشرية خارقة مثلك بدم تنين.

الأمر غير مجدٍ إطلاقاً، إقناعها بدا مستحيلاً مما لم يترك لها خيار سوا رؤية العالم يغرق كما حدث في مدينة الحكمة سابقاً، مع سايفونية طويلة، لم تظهر الفضاء، لم يقف أحد إلى جانبهن في الواقع، لوحدهن وقفنا بكامل قوتهن أمام الهلاك، ينهار مبنى المؤسسة بعدما التهمته النيران واسودت داخليته، ورفقته حكايات لم تنتهي لملائكة تصر على الصمود، ووسط كل تلك الأحداث هي تقف على المنصة، مغنية كانت مصدر إلهام بشعرها وملابسها السوداء المميزة، تغني بقصتهن وكأنها رأت بالفعل ما حدث في ظل تلك الليلة.

لم تنتهي الليلة بعد، ورغم ذلك أحداثها كانت مزدحمة لدرجة أنني كنت سأبكي في محاولة فهم ما يجري، أقول ذلك ولا مكان لنا الآن غير أزقة الشوارع تركت فارغة لنهرب عبرها، ألم نكن نحن من يقاتل في الصفوف الأولى لحماية البشرية؟ ما الذي حدث فجأة لنتساقط كأوراق الشجر مع حلول الخريف؟ هل كنا في النهاية كما قالت، نستنزف حتى وصلنا إلى نقطة السقوط؟ أم كنا فحسب نواجه عدواً ينمو في كل ليلة بينما نحن على حالنا ضعاف؟ أين هي السماء مما يحدث؟ أيعجبها رؤية الفساد ينتشر؟ هناك حكمة من هذه الليلة بطريقة أو بأخرى، درس تريد منا تعلمه، أليس كذلك؟! لذا فقط سأكمل الجري دون توقف، دون اهتمام بأي أحد أو أي حدث، سأغني فقط وأتخيل عالماً مثالياً بينما الدماء يغرق أقدامنا، لا تسمع فيه لصوت إطلاق النار والصرخات، ولا تسمع فيه لصوت الأرواح التي تجرك نحو الهاوية والعالم السفلي، هذا كل ما قلت أنني سأفعله وما فعلته حقاً، حتى أوقفتني تلك الفتاة سوداء الشعر، فقط تبتسم بشكل مريب، وتكمل اللحن الذي كنت أردده بخوفي، حتى توقفت لتقول:

- المغنية الناجحة عليها أن تحمس الجمهور لا أن تهرب منهم، كلماتك ومشاعرك، أوصليهما لهم بطريقتك، ولكن لا تتركِ المسرح مهما حدث. هذا كل ما ينقصك، لذا هل أنت جاهزة لحفلتك المشتركة الأولى؟
- ولكن لماذا؟! لماذا تريدين مساعدتنا؟!
- لا يوجد أحد طبيعي في هذا العصر، لهذا لا يجب علينا ترك جنس أساسي كالملائكة ينقرض، لذا فقط سأخذك في جولة لترِ ما يحدث في الخارج، الجميع يحاول إنقاذ ما تبقى منكم بقدر المستطاع، وإن كنت لا تريدين القتال، فقط دعِ الكلمات منك تجرح، فقط دعِ الكلمات عنك تشرح.

لقد لمعت بشكل مثالي لي حينها، إنها تمسك يدي في الليلة المظلمة، وتجري بي فوق برك الطين حتى تلطخ أسفل زيها، ومعي تصعد على المسرح، حينها أدركت ما يحدث، لقد تركت حفل الليلة بأكمله فقط لتجعلني أغني برفقتها، وكما قالت فيري كنا متشابهتين حقاً،

حتى بطريقة التفكير، بطريقة الحركة، بالمظهر والصوت، وكأنني نسخة منها ولدت لكي تقف بجانب أشهر مغنية في هذا العصر، وأمام ملايين الناس على مسرح الليلة الدامية.

بالطبع لم نقضي تلك الليلة فقط نغني، فعندما انتهى إيقاع الكلمات، تجلس على ركبتيها، وترفع لي يديها بأحد سيفيها الضخام، وكأنها تقدم مسرحية للجمهور، تتويج، وبنظرة إصرار وشعلة قوة نتجه للخارج، في جولتها التي وعدتني بها، نحو كل دولة وكل زمن، لنقاتل بجانبهن، وبجانب من يقاتل إلى جانبهن. نحو الموقع الأول، بوقفة صمود مع فيري وأس بي، دقائق كانت حتى أعدنا المشهد للبداية، وقبل أن نهاجم معاً تظهر باحثة الحكمة أثينا إلى جانبنا، بسحرها وبسيفها وابتسامتها الحادة، ومن ثم كفريق واحد بعد أميال نتجه نحو العدو القادم، نقاتل مع إي سي وسي أف رفقة عصابة ويرليفد وقائدتهم وبارودهم، فتحصد العنكبوت من أثينا لكمة على عنادها في نهايته، ورغم كونهم بشراً إلا أن قوتهم عند اتحادنا تجاوزت أعظم الوحوش، ومن ثم الفضاء برفقة أيكة وهيجي وفيلو وبلو، وقد كانوا على خط موازٍ من اليابان قد بدأوا، فنختم تلك الليلة معاً، أربعة عشر وحشاً كانوا.

وفي مشهد الختام، بعد كل ما حدث، وبعد انتهاء الكارثة، عند ظهور فجر اليوم الجديد، تنتهي قصة هؤلاء المحاربين، هناك من تقف بكبرياء اتجاه الشمس لتخبرها أنهن لن يهزمن أبداً، وهناك من تفرح برؤيتها فتعانق صديقتها بقوة من الخلف بابتسامة على أن الحكاية لم تنته بعد، وهناك من تحي بعضهن البعض بعد ما سقطت أجسادهن وامتلأن بالجروح، وهناك من في الليلة القادمة تمسك يد صديقتها الجديدة، فتعرض أغنيتها الأولى ورقصتها وسط هتافات الجمهور، وعند انتهاء الكلمات تضحك لها، لأنه من ذلك اليوم بسببها قد بدأت مسيرتها، المغنية البراقة، يودي.

(3) الملائكة السود

قريباً، الكل راحل، فلا مكان للخير باقٍ
إلى السماء تناظر، هي تقف والرمح عالٍ
أفي المعركة القادمة، هل حقاً الوداع قادم
زملائي من كانوا هناك، بجانبي حين حربي
لا تحزنوا أيها الزملاء، فالروح هنا تقف تقاوم
وبعد كسور قلوبنا والعظام، مصيرنا الموت راقٍ
قد حققنا نصرنا معكم، والوداع حريتنا الكل باغٍ
الظلام قد حكم العوالم، وتخللوا فيهم من كل جانب
حينها الأبطال يختمون سيوفهم، لا الهون شراً وعاقب
عنوانهم الخوف واليأس والعزم تاريخاً والخير خالٍ
قصصتم أجنحتكم والسماء، فما بكم أحدكم يناظر
إن كان الأخيار منا قد رحلوا، فقريباً الكل راحل

إنها تلمع على المسرح كعادتها، أمام ملايين الناس الذي يلوحون بعصيهم بلا هوادة لكلماتها، تجلس على أحد ركبتيها، تغرس سيفها في الأرض فيكون لها سنداً، كان الأمر أشبه بمسرحية قبل أن تنتشر أجهزة الليزر وتعرض مشاهد الدمار في الخلفية، مع كلمات الأخرى السريعة التي حضرت لترد عليها: الفارسة الأخيرة لا يجب أن تستسلم، حتى وإن كانت الدموع قد أدامت قلبها، فالأيام صنعت بهم رسمة وكحل عينيها زادها بهاء، وإلا فسيكون هذا الدمار مشهداً نعتاد عليه، ساعة في حياتنا لن تكون بجانبنا فيها فتنقذينا، ماذا سنفعل من بعدك؟ ماذا سنكون من بعدك؟ يا منقذتنا. وعلى الرغم من أن العرض بأكمله تم التجهيز له مسبقاً، إلا أنه بالفعل أعاد شعلة كادت تنطفئ في الملائكة التي كانت هناك تشاهد، بالتأكيد ما زالت هناك حياة يجب علينا حمايتها. الجميع يبكي أمام الستار وكأن المسرحية ذات أحداث حقيقية، فيحصد عرض الليلة على درجة كاملة من النقاد.

لقد انتهى الحفل اليوم مبكراً على غرار باقي الأيام، ما منح الصديقات وقتاً ليجدن رفيقتهم الصغيرة، هذا ما ظنته فيري، في الواقع لم تجد يودي خلف الستار، ولا يقود هذا إلا إلى تفسير أخير لا غير، عادت مبكراً لسبب مفاجئ ما أدى إلى إنهاء الليلة، لم تستسلم، غادرت المكان متجهة نحو منزلها، هذه هي الطريقة الوحيدة لرؤيتها هذه الأيام، وكل ما كانت تريده حقيقة هو إيصال بضع كلمات. تطرق على الباب، ولكن دون أي إجابة.

- يودي! هل أنت هنا؟
- ... امهليني دقيقة! لا يمكنني ترك هذا اللعين الآن.

تدق قدمها بالأرض، يمكنك أن تقرأ بوضوح تعابير الغضب والهدوء على وجهها، تضرب الباب بقبضتها فتسحقه أرضاً، يودي على حاسوبها، وقد شرد كامل تركيزها من ذلك الفعل، إنها تلعب لعبتها المعتادة، تحرق كامل وقتها فيها خلال أيامها الأخيرة، غير مهتمة سواء بمسيرتها كأيدول أو بكونها ملاك.

- إنه حدث مهم في ستار كرافت، إن خسرت الآن فتقييمي بالكامل سوف يهبط.
- (شات ؟) يودي! الزيرغ يهاجمون قواعدنا في المنتصف، نحتاج دعماً هناك.

- أرأيت ؟! إنهم يعتمدون علي، يجب علي إنقاذهم يا فيري!
- نحن نحتاجك أيضاً في الخارج، لقد سمحت لك بإكمال مسيرتك على المسرح، ولكن لا يمكنني أن أرضى بتلك اللعبة أيضاً. أثينا ستقوم بفحص لك في الغد، إنها تعيش بالقرب من منتزه المدينة الصغير، سنجتمع هناك، هل كلامي واضح ؟!
- نعم! واضح جداً! سأحرص على أن أكون هناك في الموعد!

لا أصدق أنني قد خسرت كامل اللعبة بسببها! جولد! بعد كل ذلك الجهد الذي بذلته، ألم تستطع التأخر لعشر دقائق إضافية فقط ؟! أشعر بالنعاس الآن، لا أعتقد أن بإمكاني لعب ثلاث جولات إضافية. آه، النوم على الأسلاك مريح حقاً، ومن هذه الزاوية يمكنني إدراك كم أن الغرفة تعج بالعديد من الأغراض الغير ضرورية، هدايا، رسائل، أثاث، وكسرت تلك العجوز الباردة الباب، علي أن أدفع غداً لأصحاب البرج تعويضاً كي يقوموا بإصلاحه لأجلي، كم ألفاً قد يحتاجوا لفعل ذلك؟ لا يهم، كل ما يهم الآن هو الراحة.

- لقد انتهى الفحص، يمكنكِ أن تقوم الآن.
- هذا مؤلم حقاً، هل كان الفحص ضرورياً...
- (فيري) أشكرك يا أثينا على مساعدتك، نحن نقدر الجهد العظيم الذي تبذليه لأجلنا هذه الأيام.
- سأكون صريحة، لقد أيقظتْ فضولي لمعرفة ما المميز فيها عندما ولدت. يمكنني الآن معرفة السبب، جسدها يحتوي على عناصر فريدة في الدم، سأبني نظريتي الأولية على أن سلاحاً عظيماً أو درعاً ختم بداخلها.
- (فيري) وبالتالي قد تكون مفيدة لنا، بشكل مميز، نحن فريق المهاجمين.
- ومن قال إنني غير مفيدة...
- إن كانت هناك طريقة لتنشيطه، بالطبع! ولكن الأمر ما زال نظرياً، لذا لا يمكنني أن أضمن لك أي نتائج قبل قيامي بعدة اختبارات أخرى.

- لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! لا أريد! مستحيل!

نعم! كنت أتدحرج على الأرض كطفلة ترفض تناول الدواء، والأمر منطقي، من يرغب بأن يزور عيادة تلك العجوز الأخرى، مختطفة الأطفال، لإجراء فحوصات دورية مؤلمة على جسده؟! سأفضل البقاء في الشقة المبعثرة طوال الليل لأرفع من تقييمي أو لأعد كلمات جديدة لحفل الغد في الصباح، وعندما أشعر بالنعاس فقط سأتجول في الشوارع لأشرب شيئاً من أقرب ماكينة تحضير طعام، وبهذا سأسأل نفسي كلما أفتح حاسوبي أو أصعد على المسرح، لماذا على جميعنا أن يحارب هؤلاء الملائكة السود عوضاً عن الاهتمام بحياته الخاصة؟ ورغم أن نفسي تشعر بالتأنيب على التفكير بهذه الطريقة، إلا أن الاستمرار في حالة طرفية ما بين أبطال على وشك السقوط وبشر لامعون بطريقتهم الخاصة تدمر عقلي بشكل كامل، وها أنا أصل إلى هذه الحالة في نهاية المطاف، رؤيتي تتحول إلى ضبابية وسط طريق العودة، عضلاتي تبدأ بالتخاذل بينما تتقطع أنفاسي، بالكاد أستطيع تماسك نفسي وعدم السقوط، وكأن الدم في قلبي فجأة بدأ يغلي، اللعنة على تلك العجوز! ما الذي فعلته بجسدي خلال فحصها ليضعف هكذا.

إنها تدق على الطاولة بأصابعها بينما تقرأ الأوراق البحثية، وغارقة في التفكير لدرجة أنها لم ترى أثينا التي حضرت بكأسا القهوة، ذلك حتى وضعت كأسها أمامها وجلست إلى جانبها، علامات القلق واضحة عليها بشكل لا يمكن إخفاءه، ما جعل من الصعب افتتاح محادثة معها بشكل سلس.

- يبدو أنك تواجهين صعوبات في الاعتناء بها، بل وتحمّلين نفسك كامل المسؤولية على وضع الملائكة الحالية.
- أنا المحاربة الوحيدة الحية حالياً، جميع الملائكة المتبقية ليست متخصصة في القتال، هذا يضع على عاتقي على الأقل حمايتهن من الوحوش، ويودي لا تساعدني إطلاقاً، لم أرى ملاكاً تتصرف بشاكلتها، حتى وهي طفلة.

- لست وحيدة، جميعنا بجانبك، وأنا أيضاً بقدر استطاعتي، لن نترككم أبداً تلقون مصير الأجناس في الماضي بسبب حلم البشر السخيف. ويودي ستساعد في هذا أيضاً، فقط امنحيها فرصة لتبرز معدنها الحقيقي.
- لا أريد منها القتال، فقط ألا تكون مصدر مشاكل، أمرها بات يخيفني بعدما قلت أن درع الشيطان الأول مزروعاً في جسدها، بهذا هي أقرب إلى شيطان من كونها ملاك. ماذا سيحدث إن فقدت السيطرة على طاقتها؟
- سيتحول مسار طاقتها إلى شيء مشابه للطاقة الفوضوية غير المستقرة باختصار، حالة تشبه الشياطين والملائكة السود، شيء لا أريد رؤيته خلال حياتي حقيقة. ولكن هيا! احتمال حدوث ذلك هو أقرب للصفر نظرياً، فهي لا تملك الروح، إنها ملك خطيئة الغضب بالفعل، لذلك لا تقلق من هذا الأمر.

وبعدما ابتسمت الأخرى بطمأنينة، فجأة انفجار عظيم ينير المدينة فجراً، بل ويكسر حتى النوافذ ويسقط الكتب وبعض القوارير، وبعدما تداركت أثينا الموقف ورفعت يديها عن رأسها وبدأت تقف لرؤية ما يحدث في الخارج، كان واضحاً أن الجنون قد اجتاح المدينة بالفعل، تنظر الأخرى نحوها لعلها تحصل على جواب، وقد كانت الإجابة واضحة سلفاً.

- لسبب ما يمكنني تأكيد أن ما حدث الآن هو بسبب يودي!
- تلك كانت طاقة شيطانية! فيلو مستقرة حالياً لذا... إنها يودي على الأغلب.

إنها تشتعل وتنفجر، رغم أنها تتعذب بشكل واضح من الداخل إلا أنها من الخارج تبعث بطاقة تتجاوز أعظم الملائكة، وتتحرك بسرعة بين أزقة المدينة فبات من الصعب تتبعها أو لحاقها، خلفها لا يقبع إلا الحريق والدمار، المدينة بالكامل أصبحت جزءاً من خراب بسببها، هذا فقط وهي قد مرت بأربع مواقع محددة، أنفاسها ونظراتها، إنها كأسد يعرف مكان فريسته بالفعل، مخالبها وحواسها تتحرك بشكل مخطط له دون أن يستطيع أحد ممن حولها إيقافها، ولا تنظر إلى عينيها، فهما أشد عتمة من الشر الذي تحاربه الآن.

- (أثينا) لقد ظننت أن طاقتها ستسبب لنا المتاعب، ولكنها، رغم كل الكوارث التي تصنعها، تدمر خلايا الملائكة السود وكأنها تعلم بالفعل أين هي وكيف تسحقها، وفي ذات الوقت لا يمكن لأي ملاك أو وحش إيقافها، تركها على هذه الحالة لساعات أخرى قد ينهي مشاكلنا حقاً.
- لا يمكنني تركها تفسد العالم بنفسها لإنهاء فساد آخر، أعني القضاء على الملائكة السود مهم، ولكن ليس على حساب المدينة، فنحن مخولين على حمايتها أيضاً. سأحاول إيقافها! إلى أين تتجه هي الآن؟
- الأمر يعود لك أيتها المديرة، ولكن، وكما قلت سابقاً، طاقتها حالياً في مستواً آخر، لذا احرصِ على العودة. إنها تتجه نحو المسرح رغم أنه مشتعل بالفعل.

هي تقف أمامها على أمل أن تتوقف، ولكنها كانت في بُعدٍ آخر، هي ليست حتى في عقلها لتميز من ترى وتختار إن كان عليها التوقف أم لا، فقط ستسحق كل ما يعترض طريقها حتى تنهي مهمتها، إسقاط الملائكة السود. تخرج سيفها من غمده، تزرعه في يدها لتسقيه دماً، وبتعويذتها المميزة من سحر فليريا، بلد نشأتها، يسودّ معدنه حتى تصبح قمته مزينة بسيولته، هذه المرة تبتسم أيضاً، ستضحي بنفسها لكي تنقذ المدينة كالسابق، فتخطو بخطواتها الأولى وعينيها تدمعان على الحال التي قد وصلت إليه، هي رغم الدمار ترى العالم مشرقاً كما كانت تتخيله في أحلامها، طفلة كما كانت تتخيل أيضاً توقف الجميع من إفساد زهرتها التي بالقرب من باب المؤسسة، آر واي تربت على رأسها بعدما نجحت في قتل عدوها الأول، والآن تحمل سيفها نحو هلاكها، مغلقة عينيها، فخورة بنصرها، في ذاكرتها تلك الكلمات، أننا جميعاً سنرحل يوماً، وفي النهاية كانت ضربة واحدة بمخالبها كفيلة لإيقاف سيفها الملتهب وإلقاء أشلاء جسدها بعيداً، وبلا ندم تكمل طريقها وكأنها لم تفعل شيئاً. ذلك المشهد أغضب تلك التي تراقب من الأعلى، جعلها تظن أن الوقت قد حان لإيقاف ذلك الوحش، إنها الآن مصدر تهديد حقيقي للعالم ولها تحديداً.

إنها تمشي ببطء في الأرجاء، جسدها يتمايل، مهلك ومتعب، عقلها قد سحق بالفعل من الهالة الشيطانية العظيمة التي تحيطها، قلبها أيضاً، روحها بالكاد قادرة على استكمال رحلة جنونها عند هذا الحد، ورغم ذلك ما زالت تشتعل بالقرب من المسرح، إنها تبحث عن شخص ما، وهو أيضاً كان ينتظر لحظته المناسبة لكي يظهر، بسيفها المماثل لسيف الأخرى، متباين اللون مثلهن أيضاً، مختلف الوجهة والمصير، تبدأ نظراتها بملامح غضب، ومن ثم تتحول إلى ملامح ابتسام وسرور على نجاح خطتها، وعلى الرغم من ذلك بات إيقافها أمراً حتمياً لسلامة الجميع. إنها تركض نحوها مستغلة تعبها، بركلة من قدمها وتلويحة بسيفها ترفع نفسها، وخلال لحظات التحليق أعلاها تفعّل تعويذة ختم خاصة، على أن تنهي القتال بضربة سيف عند نزولها، ولكن قبل أن يحدث ذلك كانت يودي قد أمسكت قدمها جارت إياها نحو الأرض، اصطدام قوي يثير الغبار في كامل المكان.

- تشه! لقد كان هذا عنيفاً جداً، لا يمكنني تصديق أنه ما زال لديك هذا الكم من الطاقة بعد كل ما قمت به، الأمر مجنون حتى بالنسبة لي، ملكة الملائكة السود، أصنع وحشاً ليقود الفساد ومن ثم أحاربك، أنت لا تخيبين آمالي أبداً.

بعد عدة قفزات على قدم واحدة لتعدل حذاءها، هي مندفعة نحوها بنشاط كامل، تراها بطرف عينيها فتعبس مباشرة، هي بالفعل وحش لا يتعب، جسدها يمنح كامل مخزون طاقته لها، فترفع سيفها عن الأرض لتكسر مخالبها، وفي ذات اللحظة تضرب يدها، عدة لكمات متتالية، ضربة بقدمها بعد قفزة تسقطها أرضاً، شعور الألم الذي سرى في يودي جعلها تعود للوقوف مسرعة، لترد كل تلك الضربات، إلا أن الأخرى كانت مستعدة لهذا، فتزرع سيفها في كلا الجسدين، وتبتسم. بعد لحظات من الوقوف في تلك الوضعية يتلاشى السيف، طاقتها قد انتهت، فيسقطا أرضاً، وتضحك، تضحكا حقيقة، فعلى الرغم من أن الأمر لم يعني شيئاً ليودي، إلا أنه كان النهاية للأخرى.

- لم أتخيل نفسي أبداً أغني وأموت برفقة ملاك، أنت حقاً فتاة رهيبة ومجنونة. لقد رأيتِ قوة طاقتك، من الآن وصاعداً ستحاربين ضد صنعي حتى النهاية.

- ومن سيغني تلك الكلمات السريعة في الخلفية ليشد انتباه الجمهور إلى كلماتي البطيئة؟! لماذا فعلت هذا؟ من أنا لكي تضحوا بأنفسكم من أجلي؟!
- لقد حلمتُ ذات مرة أنك ستكونين المختار الذي ينقذ السماء، تقودين إعصار النور الذي نحتاجه في هذا العالم، لهذا، حتى وإن كنت مصدر الشر بنظركم، سأوقفك بحياتي لكي أراك حقاً في الأعلى، فنحن بحاجة إلى شخص مثلك ليخلص عذابنا، وأراك الشخص المناسب لهذا يا يودي، فهل يمكنني الاعتماد عليك في قيادة ثورتنا القادمة؟

وفي مشهد الختام، تستيقظ من غفوتها الطويلة على سرير الفحص، ترفع رأسها فترى جسدها السليم، ترى تالياً تلك اليد البيضاء التي بجانبها، فتمد لها كأس قهوة ساخنة وكأنها كانت على يقين أنها ستستيقظ في تلك الحظة تحديداً، شيء متوقع من باحث مجنون مثلها، وبعد أن شربت أول شرفاته تبدأ باستيعاب الوضع من حولها، إنها تبدو أنضج بكثير مما كانت عليه، أكثر استقراراً، أشد قوة وخيفة، فهي الآن تدرك المسؤولية التي على عاتقها بعد كل ما فعلته في المدينة، ولسوء حظها يمكنها تذكر كل ما حدث في تلك الساعات، يجعلها ذلك تشعر باستياء شديد لأفعالها، وكأن لها يد حقاً فيها.

- لقد دمرتِ كامل خلاياهم تقريباً، وقتلتِ ملكتهم أيضاً، سيحتاجون وقتاً طويلاً لإعادة استقرارهم إلى ما كان عليه، سيمنحك ذلك فرصة للتعافي والتدرب على قوتك الجديدة وجمع حلفاء جدد، فأنت الوحيدة المتبقية منكم، وبعد ما فعلتيه في العالم، لا يرغب أحد في الوقوف إلى جانبك، هل ستكونين جاهزة لذلك؟

تنهض عن السرير بعدما أنهت الكأس، تحمل سيفها الملعون الذي قد نسيته هنا في الماضي، ومن ثم تفتح الباب مغادرة، وقبل أن تخرج تقف للحظة، وتقول:

- تبدين وكأنك تمنحينني خياري الموافقة والرفض رغم أنها إجابة واحدة لا غير، سأقوم بما علي فعله أياً كان ما سيحصل في المستقبل، وسأحمي هذا العالم مهما كانت الظروف ومهما كان الثمن.

الفصل الحادي عشر: حرب في حانة

(1) مراهقين وفئران

هل أنت مستعد لمواجهة المستقبل؟ لقد قالتها وهي تمسك يداي رفقة نظرة حزم وإصرار، لقد رأتني ذلك الرجل العظيم الذي سيقود ثورة ما في هذا العالم أو ما شابه، كأحد أولئك المهرجين العظماء الذين لطالما عرضوا على التلفاز، بالمبالغ التي قد دفعتها علي، بالأوقات التي كانت تقضيها خارجاً في العمل لأجلي، لقد كانت تبذل جهداً كبيراً حقاً بالاعتناء بي، يمكنني الآن معرفة السبب، هي فقط لم ترد مني الشعور أن فقداني لأب هو مشكلة، ولكن في ذات اللحظة عرفت لمَ لا يمكنني أبداً أن أحقق أمنيتها، هذا العالم مجنون أكثر مما تتخيل، وبالنسبة لفتى مثلي، فالاستمرار في الدراسة والعمل لن يجعلك أبداً تصل إلى ما تريده مهما حاولت، فأنت في أرض الحرية، وللحصول على الحرية عليك أن تدفع ثمناً باهظاً، لا تخبرني أنك قد نسيت تلقين مسدسك قبل دخول الفصل؟

تدخل تلك الحانة، إنها عدة ثواني، كل ما تحتاجه جالساً على الطاولة تراه وأنت مغلقاً عينيك، قبل أن تضحك مع رنين هاتفك، ويرليفد تسيطر على مناطق أخرى، ويرليفد تسقط الحكومة بلا هوادة، يا لها من عصابة مثالية تقوم بعملها بشكل محكم، هذا ما سيظنه الأغلب قبل أن أفتح هاتفي وأرد على المكالمة، نعم، إن الهدف أمامي مباشرة وسوف يغادر هذا العالم بعد لحظات. الآن سأعلمك حركة لا يقوم بها إلا العملاء العظماء، عندما تريد قتل أحدهم، عليك أن تروض وحش الموت لا أن تجعله يتذوق خوفك، لذا ارفع سلاحك واطلق النار بلا تباطئ، بكل بساطة، هذا كل ما تحتاجه لتنفيذ مهمة كهذه.

- (؟) إنه يطلق النار!! فليحتمي الجميع!

وهنا ننتقل للجزء الأروع من أي قصة أقضيها خلال أيامي، فبعدما ينتشر الدم في المكان ويعتلي الصراخ كل زاوية، ستغادر وكأن شيئاً لم يحصل، هذه المرة على سبيل المثال

سأطلب مشروباً قبل خروجي، بكل برود سأحصل على واحد مجاني، وإن ظننت أن الشرطة سوف تأتي، فأنت مخطئ، العالم أكثر جنوناً من أن يهتم لموت شخص.

قد يبدو الأمر حماسياً وممتعاً من الوهلة الأولى، ولكنك مهما تطاولت وغرست يدك أكثر في عالم القمامة ذاك، فأنت لست أكثر من مرتزقة، فأر يعمل تحت ظل عصابات نيويورك، ستساعد شخصاً يوماً وستقتله في يوم آخر، وفي النهاية ستحصل على الفتات القليلة من المبالغ الطائلة التي يجنونها من خلالك، ولا يمكنك الاعتراض، فأنت لولاهم مراهق غارق في الديون، ملقاً بلا سكن ولا شغف ولا حياة، ولكن هناك طريقة أخرى يمكنك فيها أن تغير حياتك، فعندما تكبر وينمو قلبك ليصبح بارداً أكثر، ستبدأ بإدراك أن باستطاعتك تقديم المزيد، أمور أعظم بكثير من مهام قتل سريعة. هذه هي الحانة التي كنا معتادين على المرور عنها عند صغر سننا، نعبر إلى داخلها هذه المرة كونها قاعدتنا الرئيسية، كنت الأخير حاملاً معي الأخبار السارة، وهم مستعدين لسماع ما سأقوله.

- (سام) أشكركم جميعاً للاجتماع هنا اليوم، سأدخل في صلب الموضوع مباشرة، لدي إعلان هام لكم هذه المرة، سوف أنفصل عن والدتي أخيراً.
- (جوزيف) اللعنة! أجمعتنا فقط لأمر أحمق كهذا! ما علاقتنا بوالدتك!
- (فرانك) يمكنني رؤية دخان يحوم في الأرجاء، لمَ تخطط هذه المرة يا سام؟!
- (سام) أنا لا أريد منها أن تتورط في أمورنا بعد الآن، لأن هذه الفرقة ستبني امبراطوريتها بدءاً من اليوم! لقد مللت من المهام السخيفة لعصابات جبانة.
- (جان) أتريد من أربعتنا وحدنا أن نقاتل أعضاء العصابات الأخرى؟ ذخيرة؟
- (فرانك) سيكون الأمر صعباً، ونحن بحاجة إلى.. أم أنها فقط بداية؟
- (جوزيف) هيا أيها الجبناء! أستواصلون العمل تحت قدم تلك العنكبوت للأبد! أفضل أن نسيطر على أرضنا الخاصة ونرفع راية عصابتنا أعلاها.
- (فرانك) جوزيف كالعادة يتطوع للمهام المجنونة! وبهذا سأبقى في الخلف. وأيضاً برفقتي معلومات حصرية قد تساعد في تحديد وجهة مهمتنا الأولى.

- (سام) هذا أقل ما أتوقعه من كلاكما! ماذا لديك يا فرانك؟
- (فرانك) أعضاء عصابة لونلي بوليت سيكونون في مركزهم اليوم، اجتماع خاص، إنه المنزل الثالث من الشارع الخامس في الحي، هزيمتهم ستمنحنا أرض حدودية عظيمة لاختراق مركز المدينة، ثقب أراضي ويرليفد.
- (جان) هل تلك المعلومة مؤكدة؟ على العموم، لدينا ما يقارب المئتين رصاصة في المخزن، ستكفي لمهمة سريعة كهذه.
- (جوزيف) الأمر أصبح حقيقياً في لحظة!! تعجبني هذه الحماسة منكم أيها الرفاق. سيارتي على الباب جاهزة لتفجير رؤوس دلو البارود بالفعل!
- (سام) يبدو أن كل شيء قد أصبح جاهزاً إذن. أيها الرفاق، العملية الأولى لعصابة أندرجراوند راتس تنفذ الآن.

هؤلاء هم رفاقي، لم نكن في السابق أكثر من طلاب مدرسة ثانوية مفلسين وضائعين في حياتنا، ومع القليل من الدراما وسلاح خفيف نتحول إلى عملاء سريين، لطالما كانت هذه المجموعة هي الأفضل في المدينة لتنفيذ المهام للعصابات، هذه المرة ننفذ مهمتنا الخاصة، يبدو أنني لم أكن الوحيد الذي ينمو هذه الفترة، بل وهم مستعدون للحاق بي أينما ذهبت، يا لهم من مجموعة من الحمقى لا يدركون قيمة حياتهم، ولكن نخاطر لأجلنا نحن هذه المرة.

تدخل المنطقة بكل هدوء، سيارة مسالمة لن يكون الجميع مسالماً معها إن لم تعرف التحكم بأعصابك والتخفي بشكل جيد، ولحسن الحظ لدينا خبير في هذا، تركنها على باب المنزل المطلوب، تلقن سلاحك استعداداً للاقتحام، لدى كل واحد منا خمسين رصاصة فحسب، ولا نعرف كم يجتمع في هذا المنزل بعد، وبالطبع لن تفكر في هذا، وقوفك بهذا الشكل دون فعل شيء يثير الشكوك وبالتالي سقوط حتمي لك أيها المتخفي، لذا ستضرب الباب فور نزولك من السيارة، اقتحام سريع وتمشيط، من غرفة إلى غرفة، حتى تدرك أن المنزل فارغ، كيف من الممكن أن يكون المبنى فارغاً؟!

نعم الأمر واضح فعلاً، لقد سقطنا في فخ كان مجهزاً لعصابة أخرى، تلك الحركة تسمى تسريب مقصود للمعلومة، وعندما تظن أنك نجحت، ترى أنك أصبحت بالفعل محاطاً بمئات سيارات الشرطة والقوات الخاصة التي تقتحم المكان من كل نافذة، وما بيدك حيلة إلا أن تقول:

- اللعنة!! ماذا سنفعل الآن؟
- (جوزيف) أما زلت تفكر! حان الوقت لمغادرة المكان، الجميع تجهز!!
- (جان) هيا سام! لن نريد تركك خلفنا!

ركضنا عبر الباب الخلفي، إنها فرصة وحيدة نهرب خلالها قبل أن تلتقطنا أعين هؤلاء النسور، وللأسف، لقد كانت هناك مروحية بالفعل في الأعلى قامت بتوجيه الضوء نحونا وسط النهار، ومن ثم تنفيذ عملية إنزال فور رؤيتنا نغادر، كل واحد منا يرمي الأخر نحو أحد الجوانب فيتخذ من الطبيعة غطاءً، وهكذا تخسر رصاصاتك لأن هؤلاء الأشخاص، وحوش الحكومة، لا توقفهم رصاصات هزيلة كخاصتنا، فيكتب مصيرنا المحتوم، خلف قضبان... لقد كانت عظيمة عند ظهورها، رابتر مدرعة من السماء تنزل كالشهاب، تتوقف إلى جانبنا ومن ثم يُفْتح قفل الأبواب، وكأنها تطلب منا الصعود.

- (جان) لقد كان هذا وشيكاً، لقد ظننت أنها النهاية. هل تبقى مع أحدكم أي رصاص؟
- (؟) يوجد صناديق ذخيرة في مؤخرة المدرعة، تناول منها ما تحتاجه.
- (جوزيف) ... اللعنة!

يقوم فوراً من مكانه دون أخذ اعتبار لما يحصل، يضع المسدس على رأس تلك المرأة التي تقود السيارة، تلك الغريبة التي ظهرت فجأة.

- (؟) هيا! لقد ظننت أنكم ستقومون بشكري بعد ما قمت به لأجلكم.

- (جوزيف) إذا توقفت هذه السيارة قبل كراج رويال هوتيل لن يكون هناك يوم قادم لك. سوف تتعاونين معنا حتى نقرر ما الذي سوف نفعله بك.
- (؟) المسدس الذي تمسكه لا يخيفني بالمناسبة، وليس لمصلحتك أيضاً أنت تضعه على رأسي الآن، هل ترى ما الذي يلاحقنا؟ من الأفضل أن تفرغ الحمولة التي في الخلف على مركباتهم، وليس على قائد مركب نجاتكم.
- (سام) جوزيف! علينا أن نركز على الهروب من الحكومة! لا تعرقل حركتنا.
- (؟) هذا ما أتكلم عنه!! ولكن الهرب؟ ألا ترغبون بإسقاط لونلي بوليت كما تحدثت الشائعات؟ إذن وجهتنا التالية ستكون نحو المستودع القديم!

حسناً، لم يكن ذلك اللقاء عادياً، تلك المرأة كانت أكثر من فتاة سخيفة كما تسمي نفسها، إنها بالفعل سائقة مجنونة ماهرة، ولا أعرف من أين سمعت تلك الشائعات، ولكنها بالفعل تعرف كل شبر في المدينة، ورفقة عربتها المصفحة تلك، لقد كان من السهل بمساعدتنا تدمير مركبات الشرطة التي تلاحقنا، إسقاط مروحية بطريقة ما، والفرار بكل سهولة متجهون نحو الهدف الرئيسي لليوم، عصابة البارود الفاني.

- (؟) هناك أكثر من ثلاثين مسلح منهم في الداخل، عربتي تضررت بشكل كبير لهذا سيكون من الصعب الاحتماء بها والاقتحام، هل لدى أحدكم خطة؟
- (فرانك) [يهمس] هل يمكننا أن نثق بها؟ سننفذ عملية مركبة للدخول.
- (جوزيف) أسنثق بامرأة غريبة الآن! أنظر ماذا حدث عندما وثقنا بمعلوماتك المغلوطة، كدت أموت هناك بسببك! أنا أم هي! لا يمكنني احتمال الأمر أكثر.
- (سام) أنا لا أثق بها أيضاً، ولكننا بحاجتها، لقد قلتها، لقد كدنا نموت هناك لولاها، لمرة أخيرة وسوف نقاضيها على فعلتها ونتركها، هل سترضى بذلك؟
- (جوزيف) هيه! يا لكم من فتية جبناء! وإن حدثت مصيبة بسببها، سوف أقضي عليكم جميعاً قبل أن تفعل هي ذلك.

- (فرانك) أيتها الغريبة (اسمي ماريا بالمناسبة) ماريا! سندمر البوابة بالمدرعة وندخل عميقاً في المكان وسط إطلاق النار، سيترك حينها سام وجوزيف المركبة لتطهير المبنى من الداخل، بينما أنا وجان سنطلق النار على من هم في الخارج، نريد منك القيادة بشكل يضمن لنا الالتفاف والعودة بانسيابية.
- (ماريا) خطة واضحة وسريعة! دعنا نشعل المكان إذن!

تمر من أعلى الجسر، تكسر السياج الذي على جانب الطريق، تكتسب قوة لتهبط على بوابة حديدية التقت بالأرض، عندها تلتف العجلات بسرعة فتتحرر من فخ وقعت فيه إلى وابل من الرصاص من كلا الجانبين، تقرأ دعاءها بدائرة وسطهم تخيف فيها من يحمل بشرف بندقيته ليدافع عن الوطن، كمفاتيح البيانو تضغط على معالم المكان، بخفة وسلاسة، يخرجا من السيارة وسط تركيز القلوب على الهرب من المجنونة التي تدور في المكان.

- (ماريا) هذه أول مرة أقود بها بهذا الشكل المدهش، ياه!! من أين خطرت لك هذه الخطة العظيمة؟ بل لماذا تريدون السيطرة على هذه الأرض تحديداً؟
- (جان) لم يتبقى الكثير من الرصاص في الخلف، سيتحتم علينا الاستعجال في المغادرة! ماريا، هل يمكنك التركيز على تدمير المنصة التي في الأمام؟!
- (ماريا) هاي! هاي! حضرة المدير.
- (فرانك) نريد أن نسقط ويرليفد، هل يبدو الأمر غريباً لك؟
- (ماريا) لا، على العكس تماماً، هذا أقل ما أتوقعه من خبراء مثلكم، هدف مستحيل بعيد المنال، كنت أحلم بالعمل إلى جانبكم حقاً يا رفاق!
- (فرانك) ولكن لم نتفق على ذلك بعد، أنت فقط...
- (جان) لقد خرجا!! ماريا! إلى الخلف ومن ثم سنقفز عبر المنصة!

تتوقف العجلات في كراج الفندق بنجاح، وعلى الرغم من كون السيارة محصنة ضد الرصاص إلا إنها قد تضررت بالفعل، الباب الخلفي الأيمن بنفسه عالق وكم لا يوصف من

الخروق والصدمات، لقد كلفنا الأمر الكثير من الذخيرة والوقت، لم يكن تدمير عصابة واحتلال أرض بتلك السهولة رغم كوننا محترفين من الدرجة الأولى، لقد بات واضحاً لي كم أن عمل العصابات صعب، وكم نحن بحاجة إلى المزيد من الأعضاء إن كنا نريد صنع جرح عميق في مركز المدينة. لقد بقيت بالقرب من سيارتها تتفحص الأضرار بينما نناقش في نهاية الممر بهدوء ذلك الأمر، ماذا سوف نفعل بأمرها.

- (فرانك) من الواضح أنها تريد الانضمام لنا، ولكن لا يمكنني الوثوق بها لدرجة مشاركتها في حياتنا، سأفضل دفع القليل من المال لتعويضها ومكافأتها فقط.
- (سام) أرى أننا بحاجة لها، إنها تقود بشكل جيد، هذا سيجعل جوزيف يركز على قوته النارية بشكل أفضل، ونحن نفتقر للقوة العددية في العصابة، كشكر لها على ما فعلته اليوم، هل ترفضون إعطاءها فرصة؟
- (جوزيف) هيا سام! ما أدراك أنها لم تخطط لكل هذا؟ عيونها ماكرة وكاذبة، لا يمكنني أن أثق بامرأة مثلها أبداً، كيف علمت أننا سنقتحم المنزل في المقام الأول؟ من أخرج تلك الشائعة التي لم يمضي لتقريرها دقائق معدومة؟!
- (جان) جوزيف على حق، لا يمكنني القتال إلى جانب أحدهم وإعطاءه ظهري وهو لم يمضي على وقوفه إلى جانبي عدة ساعات، أنا أؤمن بالصدف، ولكن ليس إلى ذلك الحد، ومن هي ماريا!! نحن نعلم جميع أفراد العصابات في المدينة بالفعل ولم ألتقي بها أبداً من قبل، لربما هي عميل سري في الشرطة الفدرالية تحاول إسقاطنا بطريقة ما.
- (سام) إذا كان هذا هو رأيكم جميعاً، فلا يمكنني رفضه أبداً، دعنا ننهي علاقتنا معها هنا اليوم، ولكنني سأمنحها فرصة أخيرة، أنا لوحدي، إن كان أمر مخاوفكم حقيقي، فلا أريد من أحدكم أن يتأذى بسبب مخاطرتي.
- (فرانك) يبدو أنك جاد حقاً بأمر دعوة أعضاء جدد، إن كنت ستقوم بالأمر لوحدك فلا اعتراض لدي، أفعل ما تراه مناسباً، ولكن بحذر، سام؟

- (جان) يا لك من عنيد، كما كنت دوماً.. سنذهب نحن إذن لإنهاء احتلال المنطقة، سنلتقي في الحانة عند المساء. ولا تنسى دفع حجز المشروبات.

وفي مشهد الختام، تحية أخيرة يلقيها الأصدقاء بأيدٍ حارة مليئة بالإصرار على سمعة أفضل، لقد نجحنا اليوم حقاً بإظهار أنفسنا، ولكن من الأن وصاعداً سنكون معرضين لهجمات أعنف وقتالات مفاجأة أكثر، ضريبة كونك عصابك في أرض نيويورك، ويوماً ما سنكون في الطابق الأخير من برج الحياة، مقر ويرليفد، بعد أن نسقط تلك المنظومة الفاسدة التي تدير الجانب المظلم من المدينة. ما زلت أتذكر تلك الأيام في الماضي، لقد مرت بسرعة دون أن ألحظ، والآن، أنا رجل يقرر كيف سيكون مصير حياته في السنين القادمة، أكتب حدثاً قد يغير القدر الذي كتب لي أن أعيشه بكل طيش.

(2) موعد تمويل

لماذا لم أتحرك؟ لَمَ أنا أقف مرعوباً مثل البقية على الرغم من أنني أملك في الحقيبة ما يمكنني بواسطته إيقاف هذه المهزلة؟ كم شخصاً ميتاً أنا بحاجة لأحرك ساكناً؟ هل أنا حقاً أشعر بالخوف من مراهقين يحملون أسلحة على الرغم من أنني واحد منهم أم أنني أشعر بالخوف من أن أكون جزءاً منهم؟ فرد مشابه لهم، هل قلبي الآن يحاكي ما يحدث للجميع عندما أحمل سلاحاً أمامهم؟ هكذا إذن يشعرون، إنه شعور مثير للسخرية، لو كنت في مكانهم لقتلت نفسي في الحال، لا يمكنني أبداً تحمل شعور العجز، يجب علي حقاً إيقاف تلك التفاهات التي تحدث هنا، هذا ما أحتاج قوله، عملية تطهير الدخلاء تنفذ الآن!

جرح في يدي اليمنى، الاحتماء بحوائط المدرسة الرقيقة لا يجدي نفعاً، والبقاء في وضعية قتالية اعتيادية لن يمنحني غير المزيد من العذاب، إنه يؤلم حقاً، لا يمكنني إمساك السلاح بشكل محكم بيدي اليسرى، هل أنتظر قدوم الشرطة؟ أم... هناك أنبوبة غاز معلقة هناك، ستمنحني غطاء مثالياً للتقدم وسط النيران وإسقاطهم، خطة مثالية! ولكن لم يعد معي الكثير من الرصاص، ومن يهتم، اللعنة!

- ألن تغادر برفقتهم؟ ... ها!

تتقدم خطوات نحوه، تمد يدها بتلويحة سريعة بعد ما نظرت مباشرة إلى عينيه الشاردتين.

- ألا يمكنك سماعي؟
- عذراً، لقد كنت مشتتاً بعض الشيء، أفكر في أمر ما.
- لقد كنت أتساءل إن لم تكن سترافقهم.
- أريد مشاركتك في مهمة عاجلة، علينا الحصول على إمدادات للعصابة.
- أوه!! مهمة خاصة إذن! بالفعل أنتم بحاجة إلى كمية كبيرة من الذخيرة، والمال ربما، هل تخطط لسرقة ناقلة أموال البنك أم شاحنة حكومية خاصة؟

- لقد فكرت بأمرهما، ولكنني أؤمن أن اقتحام مقر الحكومة المركزي وسرقته سيكون أكثر كفاءة، ما رأيك؟
- هل أنت مجنون؟ هذا مثالي، ولكنها ستكون بمثابة عملية انتحارية، إن شك أحد بنا عند دخولنا سيؤدي هذا إلى موت حتمي، ولكن لديك خطة بالتأكيد، بل أظن أنك قد تخيلت كامل تسلسل الأحداث في رأسك بالفعل.
- لهذا سوف أدخل بمفردي، فقط آمني بالعميل السري الأعظم في نيويورك، أريد منك انتظاري بالقرب من البوابة الأمامية، سأحاول الخروج بأقصى سرعة.
- لا يجب عليك قول شيء كهذا! أنا أؤمن بك بالفعل، منذ وقت طويل.

لا أعرف لمَ تمثل تلك الصورة وكأننا نعرف بعضنا منذ زمن، لقد نظرتْ إلى الجانب الآخر بخجل، سكتتْ للحظة قبل أن تنظر إلي بحماس مجدداً، وتقول:

- عملية كهذه تحتاج مركبة سريعة لمطاردة مجنونة، لدي مازدا آر أكس سفن في المنزل، ستكون مثالية لعملية مثالية كهذه، ألا تظن ذلك؟

هل أتخيل هذا أم هو حقيقة؟ سمعت باسمها في السابق، ماريا برفقة مازدا، إنها أحد المتسابقين في القائمة العليا لمطلوبي المدينة، أعتقد إنها السابعة أو شيء كهذا، لها علاقة وطيدة بالحكومة الحالية إذن، وها هي ستسرق برفقتي مقر الحكومة، هل تلك مزحة؟ هل يمكنني أن أثق بها حقاً في ذلك؟ يجب علي أن أضع خطة ب في حال حدث ما أتخيل حدوثه. أتدري، إنها تقود باحترافية تامة، أقل ما أتوقع من فتاة اعتادت على سباقات الليل ومطاردات الشرطة، بل فتاة مثلها كانت لها يد طويلة في معارك إسقاط الحكومة السابقة، وبالتالي هي تملك خبرة لا بأس بها في القيادة والقتال، لا يجب علي الاستهانة بمهاراتها، أنا متأكد أنها لو كانت تقاتل إلى صفهم، فسيكون القضاء علي حينها لا يختلف عن شربة ماء بالنسبة لها.

- ألا تشعر بأن القيادة ليلاً لوحدنا بهذا الشكل رومنسي قليلاً؟ وكأنه موعد.
- وكيف سوف تكون خاتمة هذا الموعد اللطيف؟ لم أنت برفقتي الآن؟
- العلاقة التي تربطني بك بالواقع أعمق من العلاقة التي تربطني بهم، إن كان القرار بيدي، فأنا أريد خدمتك طوال حياتي لم قمنا به معاً في السابق. أتعلم كم كنت مسرورة لسماع خبر إنشاءك لعصابة، علمت أن لحظتي قد حانت، على الرغم من أنني لم أتصور أنكم فقط مجموعة من المراهقين المبتدئين.
- لا أفهم ما الذي تتحدثين عنه! أنا بالكاد أعرف من أنت، ما الذي حدث في السابق لتضحي بحياتك من أجلي؟!

توقف السيارة فجأة، لقد بدت مستاءة حقاً لم قلته، وكأنه حقاً كان جارحاً لها، أنا بالفعل لا أتذكر أنني قمت بعلاقة مهما كانت مع فتاة من قبل، لم أهتم أبداً لأمر كهذا، كيف لي أن أكون مهماً لفتاة مثلها، كيف تتذكر أمراً لم يحدث أبداً. أخرجتْ مسدسها ورفعته نحوي، مقلوباً على نحو مفاجئ، وقالت إلي بعينيها الباكيات:

- صوب نحو رأسي، وسأضغطُ على زر الذخيرة. أما زلت لا تتذكر بعد من أنا؟

لقد انفجرت أنبوبة الغاز، عبرت بينهم واحداً تلو الأخر، رصاصة في كل رأس، ومع انتهاء ذخيرتي لم يكن هناك إلا فرد أخير، كنت سأقوم فقط بخنقه حتى يهلك جسده، ولكن ما أن وصلت إليه كان ينظر إلي مباشرة، بعينيه القاتمتين الباكيات، رفعت فوراً سلاحي نحوه، قبل أن أدرك من الذي أمامي حاولت الضغط على الزناد، لقد كانت نظراته مرعبة حقاً، أم أشعرتني نظراته بأنني قد سقطت، ضغطت مرة أخرى، ومرة أخرى، دون أن أتوقف لأركز على كلمات رجاءها، فقط استمريت بالضغط مراراً وتكراراً. لقد أمسكته بيديها وهي متفاجئة، فتحت محل الذخيرة فتسقط دون رصاص، وحينها بدأت بالضحك، تلاشى الدخان فأرى الكحل الذي ذاب عن عينيها، بحلتها الجميلة المليئة بدماء

آخرين، فقط كنا نضحك على الفشل الذريع الذي حدث معي، كيف نسيت أنه لم يعد بحوزتي رصاص على الرغم من أنني كنت من قرر خنقها فور لقاءها؟!

ساعة الحقيقة تدق في لحظة، تقف السيارة عند المدخل المزدحم، هذه القاعة من قبل كانت مركز الفساد الرئيسي في المدينة، مقر قيادة عصابة بلاك فاير-جيم، والآن هو مركز قيادة الحكومة في نيويورك، لكي ترى كيف تدور الطاولة ومن الأسفل تبقى كما هي، هذا ما أتكلم عنه عندما أخبرك أن المدينة ذي أحداث مجنونة، ولهذا يجب عليك المشاركة في الجنون إن كنت تريد أن تحجز مقعداً فيها. أفتح الباب نحو الصالة الواسعة، أحجز موعداً في الاستقبال، أضع سلاحي، وأغادر للطوابق العليا، لا يجب عليّ لفت أي انتباه، سأدخل، سأسرق المفاتيح وبعض الملفات، ومن ثم أخرج، كظل يمر عبر الجدران. لم تكن المهمة صعبة، جاوز الأمن وكأنني زائر طبيعي لدخول المكتب، ومن ثم الخروج، لعبة سريعة. نعم، سريعة وسهلة، وتحديداً عندما يسقط أحد المفاتيح منك بالقرب من مكتب الاستقبال، يلتفت الجميع إلي، وإلى المفتاح ذو الميدالية المميزة التي على الأرض.

- حسناً!! لن تدعوني أغادر الآن، أليس كذلك؟! اللعنة!!
- (عناصر الأمن) يديك على رأسك وركبتيك على الأرض!
- (تينوس) أظننت أنك ستدخل وتخرج دون أن يلاحظك أحد يا سام؟!
- بالكاد نجحت في ذلك، أم كنت أتخيل فحسب؟

يرفع المفاتيح بقدمه ويركلها نحو أحد النوافذ للخارج، وقبل أن يبدأوا بإطلاق النار نحوه كان قد اخترق الجهة الخلفية، شخص من الأمام يوقفه ويحاول إغلاق الباب ولكن بقدمه يسقطه أرضاً، آخر مسلحاً يظهر مما جعله مضطراً على القفز نحو المخزن خارجاً، يتسلق الحائط ومن النافذة الصغيرة يسقط على أحد الحراس، يأخذ سلاحه ويقتله فوراً، أخرين من اليمين، وثالثاً هارباً بحقيبة في الأمام، ثلاث رصاصات كانت قبل أن يصل الشارع

الخلفي، الفرق بالفعل كانت قد تجهزت فتبدأ فوراً بإطلاق النار نحو المدخل، هنالك تظهر سيارة المازدا الحمراء، خطة الهروب نجحت بالفعل، وبحقيبة إضافية.

- لقد فقدت مفتاحاً عند الناحية اليسرى من المبنى، سألتقطه عند مغادرتنا.

توقفتْ للحظة ومن ثم أكملت مسارها بسرعة، خلفها أكثر من عشر مدرعات للقوات الخاصة، ورغم ذلك كانت تسلك الشارع الرئيسي دون اهتمام، وقبل أن تنظر إلى ذلك الفتى المتعب الذي بجانبها، فتسأله عن غنائم رحلته، وجدت مسدسه على رأسها:

- لم أتوقع حقاً أن تظهرِ، إلى جانبي على الأقل، ما زلت لا أعرف ما سر علاقتك الغريبة التي تربطني بك، هل ستقومين بتسليمنا للحكومة عندما ترتفع الجائزة على رؤوسنا؟ لم تركتني أسرق المقر؟ ألا يعني لكِ شيئاً أن تخونِ عصابتك أم أنك تركتهم مسبقاً؟
- سأكون صريحة، مازلت أعمل تحت ذراع الحكومة، ليس وكأنني سأتركهم في يوم وليلة من أجلكم، ولكنني، ولكننا، نحتاج إلى من يثقب تلك الكارثة التي تتضخم، لأنه لن يكون لصالح أيٍّ منا ترك ويرليفد تسقط الحكومة أو تسيطر على المزيد من الأراضي. نحتاج طلب خدماتكم لمرة أخيرة لأجل ذلك.
- ما زلنا إذن مرتزقة تعمل تحت أيديكم، وسرقة المقر لم تكن إلا مسرحية لتمويل العصابة التي ستعمل تحت جناحكم بالظل، لعبة ممتعة حقاً، ولكنني سأكون صريحاً أيضاً، هذا الوحش الذي تقومون بتربيته سيلتهمكم فور الانتهاء منهم.
- وكأنني أهتم لذلك، فأنا من اليوم فرد منكم، ولدي مشاكلي الخاصة مع الحكومة، لذلك قد أساعد أيضاً في إسقاطها، أليس هذا حماسياً نوعا ما؟!
- لا أدري كيف سأشعر بالاطمئنان حولك وأنت بلا انتماء لأحد. أهلاً بك في الفريق على أية حال، ماريا.

- هيا. ليس إلى هذا الحد! (مع ضحكة رقيقة تجعلك تبتسم) سأشرح لك كل شيء في الوقت المناسب، ولكن إلى الآن، أنا أساعدكم لتساعدوني.
- عندما تعلم أن هناك سبب لمساعدة الآخرين لك، تطمئن قليلاً. تأخر الوقت، لم أعلم أن موعدنا سيطول، لابد أن الجميع ينتظروننا الآن في الحانة، يجب علينا أيضاً أن نشتري بعض المشروبات في طريق عودتنا لأجل احتفال نصر اليوم، ولكن دعينا ندمر بعضاً من تلك المركبات السخيفة، ما رأيك؟
- هذا ما كنت أتحدث عنه يا رجل!! هيا بنا!!

يا لها من حياة مرت بسرعة، لا أتذكر أن اسمها كان ماريا، ولكنني الآن أتذكر وجهها، لقد ساعدتها في بعض الأمور في السابق، ولم تكن حتى بهذا الشكل، لقد كانت أقصر قليلاً، وربما أقل اندفاعية. بدأ كل شيء من تلك الحادثة في المدرسة، بدوت كبطل للكثيرين، وربما كانت هي الأشد ظناً لذلك كونها سقطت وسط الحدث، رهينة تلك الجماعة الغريبة، بل هم كانوا بالداخل لأجل التقاطها في الغالب، وانتهى الأمر بإنقاذي إياها. استمرت علاقتنا لبضع سنوات، كنا نلتقي أحياناً، لقد طلبتْ مني أن أعلمها التصويب وإطلاق النار، طلب غريب من فتاة لا تزال في العاشرة، وبسبب فضولي حول ما حدث في المدرسة قد وافقت، لقد جعلتها تدفع مبلغاً هائلاً من أجل ذلك أيضاً، لذلك لربما كان طمعاً مني أيضاً. توقف الأمر بعد أن علمت أمي بالأمر تقريباً بعد عامين، حينها جلسنا في المنتزه عوضاً عن مخبأ الغابة لأصارحها بذلك، ولأعيد لها دفعة الشهر الملغى، ظاناً أنه حان الوقت لتخبرني لم كانت تريد التعلم. لقد كانت هادئة كالمعتاد، ابتسمت عند سماع الخبر دون اعتراض، وعندما ظهر سؤالي انزعجت ولكنها أفصحت:

- أتتذكر الرجال الذين حاولوا خطفِ في السابق؟ إنهم ينتمون لعصابة وايلد ستريت، وأولئك يعملون تحت ذراع منظمة سرية أعظم بكثير تدعى بأصحاب

السيوف الصدئة أو الملائكة السود، أبي كان يعمل معهم سابقاً، ولكنه اختفى فجأة، لم يعد إلى البيت لسنوات، تبعته أمي، وأظن أن في ذلك اليوم كان سيحين دوري، ولولاك، لم كنت حية. أريد أن أسقط تلك المنظمة مهما كانت، وربما أجد أبي وأمي يوماً، هل هذا حلم سخيف لفتاة في الثانية عشرة؟

- من السهل إسقاط عصابة، ولكن منظمة بالكامل... هذا مستحيل.
- أعلم ذلك، فقط دع قلب الفتاة يخدع نفسه، فالحقيقة تؤلم حقاً.

لقد قالتها بكل هدوء، ما زلت أتذكر ذلك المشهد، فقط دع قلب الفتاة يخدع نفسه، من أنا إذن لأتحدث عن الجنون الذي يدور في المدينة إن كانت فتاة بهذا العمر تقول كلمات كتلك، وذلك الهدوء لا يدل إلا أن عقلها قد ضاع بالفعل، لا يمكنني إصلاحه من تلك النقطة، لذا فقط نسيت أمرها وغادرت، وها هي معي مجدداً، تحارب جنون هذا العالم مثلي تماماً، هذه المرة بعقل صحي وقلب مشتعل، كيف لي أن أنسى كل ذلك؟!

وفي مشهد الختام، أزاحت كرسيها إلى جانبي وضربت كتفها بكتفي، تلك اللمسة جعلتني أغادر الأفكار السابقة التي علقت بها، نظرت إلي بابتسامة عريضة، ومن ثم قالت:

- ليس من الجيد أن تسرح في الاحتفالات، لم يتبقى الكثير على الطاولة!
- بخصوص حوارنا الذي دار ونحن عائدين إلى هنا، تريدين طلب مساعدتنا في إسقاط أولئك الذين يدعون بالملائكة السود، أليس كذلك؟

لقد سكتت فجأة، تحولت ابتسامتها إلى هدوء وضياع، وبدأت تشيح بنظرها عني قبل أن تعيد النظر إلي بابتسامة لطيفة وأقل ظهوراً، وتقول:

- لقد تذكرت إذن. ليس حقاً، لا يمكنكم أبداً إيقاف أولئك الوحوش، ولكنني قد أطلب مساعدتكم بشأن أمر آخر، لذلك دعنا نؤجل الحديث عن هذا حالياً.

- نعم! أنت على حق! (بصوت مرتفع هذه المرة) أيها الفريق! دعنا نحتفل اليوم بانتصارنا، لأنه من الغد، هذه العصابة ستحتل نيويورك وتسحق ويرليفد!

(3) عندما (لا) تحدث

لقد كان البرج يشتعل من قاعه وحتى قمته، نيران التهمت أصغر تفاصيله حتى لم يصبح غير كتلة عظيمة من اللهب يمكنك رؤيتها من أي جزء في المدينة، وكأنه عقاب سماوي لم قمنا به في الأيام الأخيرة، وعندما وصلت أخيراً ركام المبنى المتفحم تبدأ يداي بالانزلاق قليلاً مع خطواتي المتباطئة حتى تدمع عيناي، كانوا هنا، وهذا الحريق كان بسببي لا غير. تأتي الكوابيس تباعاً دون ذكر أي محددات، وعندما أقف بمدفعي بأساً بالقرب من الركام تنشق الأرض لأغرق في محيط شاسع لا قاع له، دون محاولة مني لفرض سيطرتي، فقد أدركت أن ترك الجسد يغرق هو الأمر الإيجابي الوحيد في ذلك الحلم، حينها شعرت أن تلك الطعنة كانت بالأمس، وكأن لقائي بها لم يمضي عليه أكثر من يومين من الفراق دون استطاعتي تذكر مظهرها الكئيب، كيف وخيالها ما زال يُعْكس على كل قطرة من المحيط.

كوابيس ستحدث يوماً ولكن ـــــــــــــــــــــــ هل لبندرا أن تكون ماريا الآن؟

لقد كان القتال محتدماً بالفعل في الأسفل، الجميع يحيط آر واي محاولاً إسقاطها، ولكنهم في الحقيقة لم يكونوا أكثر من دُماً بالنسبة لها ترفه بهم عن نفسها بدلاً من كسر أكواب المقهى، هذا ليس مختلفاً عن الوضع الذي اعتادت العيش فيه لسنوات، إلا أن هناك متغير واحد جعل من هذا اليوم مميزاً، ظهرت تلك الفتاة الصغيرة التي لم تتخطى الخامسة بعد، وعند رؤيتهم لها هناك وحيدة في الشارع، أمست هدفهم الأسمى، ومع شعور الصدمة المرافق لآر، في لحظات كانت قد هرعت بسيفها وسطهم لإنقاذها حتى ألقته على آخرهم، ولكن عندما تتوقف خطواتها ترى مسيج الدم الذي يسيل به السيف أينما وجدته في قلب الفتاة، وقلب الملاك الأسود أيضاً، وعلى الرغم من سقوطه بثواني لاحقاً باختفاء جسد الملاك تاركاً فجوة بداخل الأخرى، فقد ألتحم جرحما فوراً.

حملتها عن الأرض بين ذراعيها برفق، واتجهت بها إلى الشخص الوحيد الأكثر علماً بهذه الأمور في المدينة، تفتح الباب دون استئذان، وتضع الفتاة مباشرة على الأريكة بينما الأخرى تطالعها دون أن تنطق بكلمة.

- لقد مر زمن طويل منذ آخر لقاء لنا، ويبدو أنك سقطت في مصيبة جديدة. روز! هل يمكنك إعداد كأسين من القهوة لي ولضيفتنا؟
- سأعدهما بنفسي، هل يمكنك فقط الاستعجال في رؤية حالة الطفلة؟ لقد أصابها سيفي خطأً وأختلط دماءها بدماء وحوش السماء.
- أتقدمين لي عينة لفحص عظيمة؟! ... سوف أقوم بما أستطيع فعله لإنقاذها.

تغلي البن ومن ثم تقوم بترشيحه، تضع السائل في أكواب رفقة آخر من الحليب، وعندها فقط تناظر السائل الراكد في الكأس مع قلق وذكريات من الماضي، تكسرهما بإمساكها للكؤوس متجهة بهم إلى الصالة، وأول ما لفت عينيها عند خروجها كانت الفتاة التي استيقظت، بل وبحالة جيدة رغم ما حدث لها، كانت ستسقط الأكواب بارتجاج يديها، ولكنها تأخذ نفساً عميقاً فتستطيع بنجاح وضعهم على الطاولة.

- هي حية!! كيف لهذا أن يكون حقيقياً؟!

أمسكت يدها مبتعدة لتتحدث على انفراد بعيداً عن آذان الطفلة، ومن ثم قالت:

- أتريدين سماع التفسير الكامل على الرغم من غرابته؟ (بالطبع!) الدماء التي اختلطت بداخلها عند طعنك لها قد صنعت أعضاء مزيفة عن التي فقدت، الخلايا ظنت أن جسد الطفلة في الحقيقة هو جزء من جسد الملاك، فقامت تلقائياً بعلاجه كما تعالج نفسها، هذا مدهش أليس كذلك؟

- أليس من المفترض أن اختلاط أنواع مختلفة من الدم يؤدي إلى فساده، كيف حصلت نتيجة كهذه؟ وماذا عن مصيرها بعد ذلك؟
- إنها فقط مميزة، بل سأقول إن الملاك التي أختلط دمها بدم الفتاة هي من كانت مميزة، لقد كانت خلاياها تحتوي على تركيبة مشابهة لدماء البشر ولكن بمستويات أعلى لتحمل الطاقة، أي خلايا محسنة تحاكي الخلايا الأصلية. الملائكة السود قد قطعت شوطاً لا بأس فيه في هذه التجارب، وها نحن نراها تنجح بالفعل في تطوير البشرية. ومصيرها حتمي، عليها أن تعتاد على التغير الذي أصابها، ليس وكأنها اختلفت عن كونها إنساناً كآخرين، فقط تخطت الألفي سيلي بالفعل دون تدريب، لقد كان هذا حلماً لكثير من السابقين، كفيارا.

نظرت إليها من بعيد، تلعب وتضحك مع روز وكأنه لم يصبها شيء، فهدأت متأكدة أن عليها العودة بها قبل شروق شمس اليوم الجديد، تترك جلسة أثينا برأسها المتصدع وتتجه نحوها، تمسك يدها بلطف، تلتمس نعومتها بيدها الأخرى قبل أن تنظر إليها بابتسامة.

- أيتها الصغيرة، هل أنت بخير الآن؟ علينا الرحيل قبل أن تقلق عليك عائلتك.
- (أثينا) ستغادرين بالفعل؟ ألن تشرب القهوة خاصتك على الأقل؟ من الخسارة أن يترك أحدهم تلك القهوة الممتازة على الطاولة.

تنظر إليها بنظرة باردة حادة قبل أن تتحول إلى رضى وشكر، تنزل رأسها بتحية أخيرة على ما قامت به، ومن ثم تسحب يد الفتاة وتخرج بها من تلك الحديقة السوداء. تمشي ببطء رفقتها حتى الموقع الأصلي الذي قد سقطت فيه، فتجلس على كرسي هناك وتضعها في حضنها، ومع التربيت على رأسها تبدأ عينا الفتاة بالانغلاق من النعاس، والأخرى تراقب تلاشي الدم الأرجواني مع الشمس، فلا يتبقى من الجثث الملقاة هناك إلا الدم الأحمر الذي رسم لوحته الفريدة في الشارع.

تفتح عينيها إلى سيفها الذي قد سقط إلى جانبها وأمامها أحد عناصر الشرطة، هو ما قام بإيقاظها حقاً، ويبدو أنه كان موكلاً ليبحث عن الطفلة، تسلمه إياها مع العديد من الأجوبة، فينتهي التحقيق برحيلها معه، وقبل أن تعاود الجلوس على الكرسي لوحدها، ينتابها شعور فقدان غريب، فتبدأ بالصراخ عليهما من بعيد، وبعد أن تقترب منهما، تعاود إمساك يد الطفلة بيديها كما السابق، مع نظرة بابتسامة مماثلة تسألها قبل أن تختفي للأبد:

- أيتها الطفلة! لم تخبريني بعد عن اسمك، هل يمكنني معرفته أيتها اللطيفة؟

__________ بندرا، إن اسمي هو بندرا _____ وأنت؟ _____ من كنت؟

يغادر الجميع الحانة وتبقى هي، ومع التمعن في الكأس الذي أمامها فجأة تغضب مع أفكارها، فترمي الكأس نحو الحائط متحولاً لألاف القطع المتناثرة، ترى انعكاسها بحالتها المزرية من خلالهم، صحتها النفسية لم تكن جيدة بالفعل، تضرب الطاولة في المرة الثانية، وتبدأ بتمتمة كلماتها: من أنا لأكون ماريا؟ هل صدق حقاً أنني نفس تلك الفتاة التي تعمل مع الحكومة على رغم من أنهم قد أعلنوا وفاتها منذ فترة طويلة؟! أعني أنا أعمل معهم أيضاً ولكنني لست جزءاً منهم، ماذا علي أن أفعل الآن؟! ما الذي يجب علي فعله بعد الآن؟!

تحضر، تدخل الحانة بكل هدوء كالعادة، تسحب كرسيها وسط نقاشها الحاد دون أن تعطي اهتماماً لأحد، ومن ثم تراقب النافذة تتمعن فقط انعكاس قلبها المظلم، خيال لشخصية ليست هي بالواقع صنعتها لتتماشى مع الموقف فحسب كل تلك الأيام، وابتسامة كانت كالاستسلام الذي قد أقرته فجأة، شرخ في ضوء تحاول صنعه ولكنها عاجزة عن فعل شيء حياله بالفعل، منذ سنوات وهي تحاول الاقتراب منهم ولكن خطر الاقتراب يدفعها دوماً للعودة. يتوقف حديثهم للحظة، حينها يضع سام المسدس على الطاولة أمامها ليلفت انتباهها، كونها جزءاً أساسياً في الخطة القادمة.

- لقد كنت هادئة بشكل غير معتاد هذه المرة، ما رأيك بالخطة التي وضعناها؟
- لقد أخبرتك من قبل، أنا معكم فيما تحاولون فعله، لا يجب أن أجدد موقفي في كل يوم تضعون فيه خطة.
- أعني، هذه المرة مختلفة!
- (جوزيف) هل كنت حقاً.. تستمعين لحديثنا؟
- (فرانك) أنت لا تبدين طبيعية منذ أن حضرتي. إذا كنت مرهقة، سنقوم باستئجار قائد آخر، لقد قمنا بالكثير من المهام بالفعل في الأيام السابقة.
- (جوزيف) سنهاجم أكبر أبراج ويرليفد وتريد منها أن ترتاح اليوم بالتحديد!! إن لم تحضر لمثل هذه المهام، فلم هي موجودة من الأصل؟!
- (سام) نحن بالفعل...
- (ماريا) لقد قلت إنني موافقة على خطتكم! أنا إلى جانبكم بالفعل، ليس أنا من قال إنني متعبة وأحاول التهرب من المهمة، بل كنت أنتظرها على قدم وساق، ليس وكأنني أحتاج لأي راحة من الأساس!
- (سام) لست بمستوى الحماس السابق، ولكن هذا المطلوب! سأعيد قراءة الخطط، فليركز الجميع هذه المرة...>

يغادر الجميع لتجهيز عناصر فرقته التي ستقوم بالاشتباك، وتبقى تلك الفتاة مرة أخرى وحيدة هناك، تعيد التمعن في النافذة لعلها هذه المرة ترى شيئاً آخر غير النزيف الأسود المؤلم لكذبتها، نفس العذاب الذي بات يسيطر على قلبها المصطنع بالفعل، فتعض شفتها حتى تنزف، ممسكة المسدس هذه المرة ترميه على الزجاج الذي لا ترى من خلاله إلا انعكاساً لنفسها المزيفة التي لا تزال تعاتبها، وقبل أن تبدأ حرباً في الحانة، يظهر ذلك الفتى الحنون الذي كان دوماً إلى جانبها، ليراها في تلك الحالة الفظيعة، شعرها المبعثر مع الأنفاس المتتالية، والدماء التي تتساقط من نهاية ذقنها، فتجلس فور رؤيته متعبة خجولة

ويديها على رأسها، شائحة بنظرها إلى بقايا زجاج النافذة المكسورة، فيجلس إلى جانبها كما فعلت هي في حضورها الأول إلى هذه المكان.

- عليك أن ترتاح اليوم، سنغادر بمفردنا في هذه العملية. أنا أحتاج إليك، ولا أريد أن تدمري عقلك قبل أن أقوم بمساعدتك في أمرك. تخيل فحسب، بعد هذه العملية سنصبح العصابة الأكبر في نيويورك، وسنكون قد أسقطنا معظم أيادي سيطرة ويرليفد في المدينة، أليس هذا ما كنا نسعى إليه منذ البداية؟ لهذا فقط انتظري عودتنا هنا بالأخبار السارة.
- إن لم أكن هناك لن يعود أحداً منكم حياً، لقد رأيت البرج يحترق، إن لم أكن هناك سيتحقق ذلك الكابوس و ـــــ رأسي...!
- هيا! إنه فقط كابوس، سنقوم باحتلال البرج ونعود، لربما نتخذه مقراً جديداً لنا، هل تخيلت في السابق أن أندرجراوند راتس ستصبح أباف-كلاود راتس!

وهو في انتظار ضحكتها على النكتة السخيفة، أنزلت يديها ونظرت إليه بنظرة قاتمة السواد مليئة بالإصرار والحزن، فتلفظ بتمتمة قبل أن تبدأ بالكلام:

- سأرافقكم! لن أترككم تذهبون إلى هناك لوحدكم! لن أجعلكم تتركوني هنا بمفردي!
- لقد كان طلبي واضحاً، فقط نالي قسطاً من الراحة! هل يمكنك فعل ذلك لأجلي هذه المرة فحسب؟

لم يكن باستطاعتها رفض طلبه بتلك العيون، فأعادت جلستها إلى السابق، شائحة بنظرها إلى بقايا زجاج النافذة المكسورة، متألمة راضية بكلماته، ليست وكأنها ستنفذها على أية حال، تغير بعد لحظات جلستها، واضعة رأسها بين يديها على الطاولة، وتقول:

- حظاً موفقاً في احتلال البرج، سأنام هنا لبعض الوقت بينما انتظر عودتك.

لم تستطع النوم على الرغم من طول سكون حركتها، فهي ما زالت تفكر بمستقبل هؤلاء، حتى قررت كما كانت قد قررت سابقاً أن تذهب إلى البرج وتساعدهم، على الأقل أن ترى مصير عمليتهم المجنونة، تحمل رشاشها، وتضع صندوقاً من الذخيرة في السيارة، وتتوجه إلى هناك مسرعة دون أدنى ذرة تباطؤ أو ندم، فتحضر على جملة تلك الفتاة الشهيرة التي قد علت في السماء:

- لجميع من في الداخل، الفضاء هنا، لذا أنتم بتم أمواتاً بالفعل!

تتوقف عجلاتها عند الباب بعد دورة كاملة في الشارع، حضور رائع متناسق بحضور كابوس جديد، الفضاء؟ ألم تكن شائعة انتشرت بين العصابات لفتاة خيالية لا تقهر؟ إن كانت من سيحرق البرج فعلي إيقافها حتماً! نعم! حان وقت بداية هذا القتال المستحيل.

تدخل بسلاحها إلى الطابق الأول وخلفها بعض الرصاصات تسقط وعلبة الذخيرة، كان مدمراً بالفعل مليئاً بالثقوب نتيجة معركة طويلة دارت قبل أن ينسحب المدافع، صوت إطلاق النار ما زال منتشراً في الطوابق الأعلى، يبدو أنهم على وشك الانتهاء من التطهير، ومع خطواتها الأولى في الداخل تسمع صوت طرقات المعدن بالأرض، كانتا اثنتين، الفضاء هي من ترتدي ملابس الجانحات في الغالب، وتلك الأخرى التي وكأنها جاءت من حفل زفاف هي مساعدتها أو ما شابه.

- (تحمل سيفاً، هل هي جادة؟ هل تظن أننا ما زلنا نعيش في العصور الوسطى؟!) ألن تخرجي سلاحك للقتال؟ نحن لسنا هنا للعب.
- (فيلو، تهمسها للفضاء) هي ليست ببشرية، خذ حذرك.
- وكأنني أهتم! (ترفع سيفها فيشق الأرض عند خروجه) أيتها الملاك الأسود، أنت في الملعب الخطأ، هذا برج ويرليفد، ونحن هنا لننقذه من الظلام.

تبدأ بإطلاق النار ولكن رصاصاتها تختفي قبل أن تتحرك في الهواء، لم تختفي بل انتقلت تحديداً، هي تسقط في الخلف، وقبل أن تعيد شحن ذخيرتها تجد السيف أمام وجهها، خطوة للخلف، يتبعها قفزة خلفية فوق نصلها الذي تلوح به، وعندما تصل للأرض يكون مسدسها السري على رأس الفضاء، تضغط على الزناد فيكون السلاح قد قص بسيفها بكل بساطة وكأنه خلق هناك، تعودا للخلف لحظة ومن ثم تعاودا الهجوم بشكل عنيف مرة أخرى، هذه المرة بشكل أسرع، لكمات ورصاصات من الأولى، وضربات بسيف طويل أسود من الثانية.

بضع فتية في الأعلى كانت وظيفتهم قد انتهت، رُفِع العلم على سطح المبنى، وعلى الرغم من أن الجميع قد أكد انتهاء عملية التطهير بنجاح إلا أن صوت التصادمات وإطلاق النار ما زال مستمراً في الأسفل، إنها الفضاء بالتأكيد، ولكن مع من تصادمت هذه المرة؟ هذا هو التساؤل الذي طرأ على عقول الجميع، ليتفقوا على بدء العملية التالية مباشرة، السيطرة على المدخل وإسقاط العنصر المهاجم، تنزل جميع القوات المدججة بالدروع والسلاح عبر السلالم بقيادة جوزيف حتى الطابق الأول، وعند وصولهم إلى هناك يصوبون أسلحتهم على كل مكان من الممكن أن يحتوي على هدف، ولكن لم يكن الهدف متوقعاً، إنه أضخم بكثير مما كان الجميع يتخيله.

- (بندرا) لم أعتقد أن الوحوش تحبك إلى هذه الحد، أيتها النجمة الفاسدة!
- (الفضاء) صدق أم لا، لقد حصلت على تقرير بأن هناك وحش عظيم قادم، ولكنني لم أتخيل أنه ليس أنت يا صاحبة الدم الفاسد. قد أحتاج إلى سماع تفسير واضح لطاقتك الخارقة بعد أن نسقط هذا الوحش لتركِكِ!
- (بندرا) انظر من يتكلم عن الطاقة... (ضربة مباشرة من يد لينة عملاقة) أوه! قد كان هذا قريباً جداً. (قالتها بصوت عالٍ) الجميع! لا تخافوا! فقط اطلقوا النار!

ينتهي القتال بجثة وحشٍ على البوابة بفضل فارستنا وصاحبة السلاح الخارقة، تلتفت بندرا حولها فور انتهاء المعركة ولكنها لا ترى غير غبار الأسلحة، لقد تلاشت الفضاء كما تتلاشى النجوم في النهار، على الأقل تجد رسالة غريبة خلفها: "تقاتلون ويرليفد وهم من ينقذوا عالمكم، أنتم بالفعل أشبه بهؤلاء الوحوش. إن كنت ترغبين حقاً بإسقاط الملائكة السود، فأنت في الفريق الخاطئ، صديقتك القديمة آر واي سترشدك"، ليست حقاً ما كانت تسعى إليه ولكنها تأكدت، لدى ويرليفد القليل من المعلومات حول أمرهم، كمكان الخلية مثلاً، ولكنها لن تكون قادرة على الذهاب إلى هناك وحيدة بسبب أفعالها الحالية، كسارق يدخل مركز الشرطة، وهي بالفعل تعرف من سيساعدها في ذلك، فقط عليها أن تجدها موقعها في اليابان.

- (سام) ماريا! لقد توقعت أن تحضري، ولكن ليس بهذا الشكل، هل هؤلاء هم الملائكة السود؟ حسناً، حتماً لا يمكننا إسقاط تلك المنظمة! ولكننا على الأقل سنحمي هذه المدينة. شكراً لك على حمايتنا وصديقتك حتى انتهاء العملية.
- بندرا. اسمي هو بندرا، لقد كنت أكذب عليك كل تلك المدة، ماريا ميتة منذ سنوات، غريب عدم معرفتك لذلك. واسمح لي أن أقدم طلبي الأخير، سأغادر اليوم الفريق، يبدو أن وجهتي القادمة قد تحددت بالفعل.

وفي مشهد الختام، لقد كان يوماً عادياً بالنسبة لها، فبعد عدة لقاءات مع أبطال العالم الجدد، وبعد وضوح مسار عملياتها، وحتى بعد شفاء يدها المكسورة من معارك البرج، حاملة سلاحها الجديد في المدينة، مدفع ليزر ضخم، وناظرة إلى السماء بابتسامة مع غروب الشمس، حينها ترى الكابوس قد تحقق، لقد كان البرج يشتعل من قاعه وحتى قمته، نيران التهمت أصغر تفاصيله حتى لم يصبح غير كتلة عظيمة من اللهب يمكنك رؤيتها من أي جزء في المدينة، وكأنه عقاب سماوي لم قاموا به في الأيام الأخيرة، وعندما

وصلت ركام المبنى المتفحم تبدأ يداها بالانزلاق قليلاً مع خطواتها المتباطئة حتى تدمع عيناها، إنهم بالداخل، وهذا الحريق كان بسببها لا غير.

***

وبعد قراءته، تتلاشى الكلمات من الصفحات وكأنها لم توجد.

وماذا يتبع اختفاءها؟ ______ **ضَيَاعٌ** لنا وفناء بانتظارنا.

أسنقف جانباً فحسب نراقب...

أم سندعو للسماء لعلها تنقذنا جميعاً؟

ما رأيك في هذا أيتها الحاكمة الجبانة؟ ___________ تايم!

النهاية

VOID STAR

فساد

نمسك أيدي بعضنا

بينما نهرب بعيداً عن المنزل

دعنا نفتتح هذه الصفحة الأخيرة بمقولة لطالما أدهشتني: إن كانت الأيام متعبة ومؤلمة، فلا تتوقف عن معاندة الحياة، إن كان المشي للأمام كل تلك المدة أدمى قدميك وأهلكهما، فلا تتوقف أبدًا وتنظر للوراء، بل انظر واعلم إلى أين وصلت، كم من الخطوات قد قطعت لتصل إلى هنا، أنت بالفعل تخطيت الكثير من المحن لنراك على المسرح، فلا تنزل عنه إلا وأنت منتصر، أيها البطل.

إن ظننت أنك وحيد ومتعب، فأنا هنا بجانبك، إن كنت تريد الهرب بعيدًا وترك مسلسل التمثيل أنك الخير والشر تهزم، فامسك يدي ودعنا نهرب بعيدًا، إن كنت تظن أنك تعبت من كونك البطل، فأنا أحبك فقط لأنك زوجي، ليس أكثر، لهذا أحترم خياراتك وقراراتك، بل أنا متأكدة أنك دومًا الصواب، لقد قطعت شوطًا لا بأس فيه، عليك أن ترتاح الآن وتترك فعل الصواب للشخص التالي، أيها البطل.

ولكنك تصر على إنقاذ العالم، عقلك بالفعل يضيع من أجل تلك الغاية، فأنت لن تستمر بسلوك طريق النور إن كان الظلام هو كامل ما يغطي بصرك، أنت تنسى من نحن كل يوم، أنت تنسى حبنا الذي نشأ على طول عشرات السنين، وفي المقابل، تصبح أكثر جنونًا وأقل استماعًا لكلماتنا، أنت تتحول إلى وحش لن يوقفه أحد لاحقًا، أيها البطل.

